المركز القومى للترجمة
عالم الطفل

رينيس بيبير

قصص الحيوان

الجزء السادس

ترجمة

عزت عامر

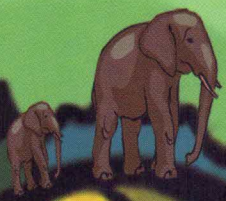

1172

المشروع القومى للترجمة

المركز القومى للترجمة
عالم الطفل

حياة حيوانات كوكب الأرض من وجهة نظر مؤنسنة، تصور الحيوانات وهي تحس وتتأثر وتفكر وتتخيل وتتفاعل مع الطبيعة والبشر.

إنها مجموعة قصص من كل نوع حول حيوانات من كل نوع؛ من القطط حتى التماسيح، ومن النمس حتى الحمار، ومن الحمل حتى الأسد، في محاولة لرصد أهم جوانب حياة الحيوانات. قصص تعود إلى آلاف السنوات وأخرى أكثر حداثة.

وتتضمن المجموعة حكايات شعبية وأساطير عالمية تجسد الخرافات البدائية حول ما يدور في عالم الحيوانات، وقصصًا عن الحيوانات المستأنسة في الحقل والبيت وفي البرية بقلم كتّاب قصة مشهورين.

تصميم الغلاف: مروى يونس

قصص الحيوان

(الجزء السادس)

المركز القومى للترجمة

إشراف:جابر عصفور

سلسلة عالم الطفل

المشرف على السلسلة: محمد الشحات

- العدد : ١١٧٢
- قصص الحيوان (الجزء السادس)
- دينيس بيبير
- عزت عامر
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة كتاب :

ANIMAL STORIES

By: Dennis Peper

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦، فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com 27354524 - 27354526. fax: 27354554

قصص الحيوان

الجزء السادس

تأليف: دينيس بيبير

ترجمة: عزت عامر

٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

بيبير، دينيس.
قصص الحيوان (الجزء السادس) تأليف: دينيس بيبير: ترجمة: عزت عامر.
ط١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩
١٧٥ص؛ ٢٠سم
١- القصص الفرنسية
أ - عامر، عزت (مترجم)
ب- العنوان ٨٤٣

رقم الإيداع: ١١٤٥٥/ ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 978 - 977 - 479 - 369 - 5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارت المشروع القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم المختلفة، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز القومى للترجمة.

المحتويات

٦- فى الحقل والبيت

- الفتى العظيم 9
- الماعز زلاتى 33
- ريكى تيكى تافى 49
- باتش 91
- المهر 101
- الحمار 123
- عُد طائراً إلىّ 133
- نجاة لص الطرائد 145
- آرثر المسكين 155

6

فى الحقل والبيت

الفتى العظيم

جويس ستريبنر

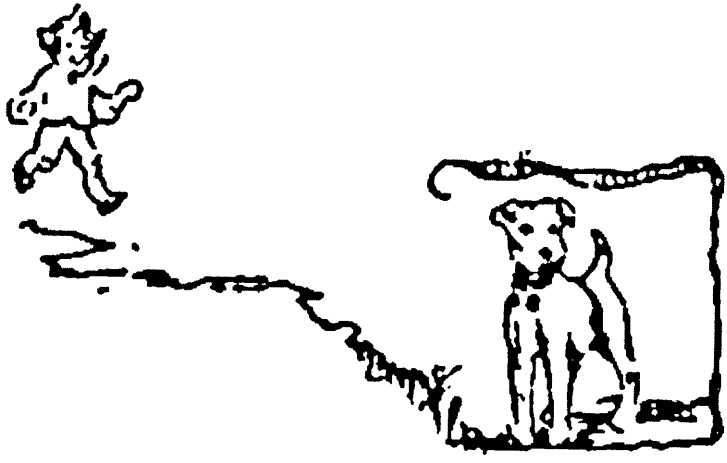

كان يومًا مزعجًا. الثلج محتجز فى عمق الشقوق والثغور الضيقة والأخاديد، منجرف عند الحوائط المقْموطة، يخفى شكل الأرض تحته. وكانت الريح تهب عبر المنحدرات، تعوى فى اندفاعها، والأشجار مثقلة حُكم عليها بحملها، والأغصان تتكسر تحت الثقل المتجهم.

وكان الكلب غير مرتاح طوال اليوم. قلقًا وهم يقسمون الأرض، ويدفعون النعاج إلى الأمام، يحاولون توجيهها للعودة بها إلى المزرعة على الثلج الذى أصبح بارتفاعٍ يصل إلى ذيولها، لذلك كانت الحيوانات تغوص بائسة، ففى كل خطوة تحتاج جهادًا.

ولم يستطع أن يعبر عن مخاوفه لسيده. وأصبحت السماء المليئة بالثلج مظلمة ومثقلة باللون الكبريتى الأصفر على الأفق البعيد، بغموض مع الضوء جعل الكلب يرتجف. ودمدم التل لنفسه، بصوت ضعيف لا

يمكن للراعى أن يسمعه، لكنه من الارتفاع بحيث يرعب الخراف ويجعل الكلب غير سهل الانقياد.

وانحنى مرتين فى خوف وجعل يئن، رافضًا أن يتحرك، وصاح الرجل تجاهه، كارهًا الحالة الجوية السيئة ومنزعجًا من أن كلبه يختار مثل ذلك اليوم ليتلاعب به. وكان يريد أن يعود إلى بيت المزرعة، إلى الشاى الساخن والنار المتقدة. ولعن الخراف.

واستخدم مرة أداته الخطافية لسحب حيوان إلى على سهل صخرى إلى أسفل حيث وقف مذهولاً، فلم يكن قد سبق له أن رأى مثل هذا الطقس من قبل، فى حياته القصيرة. ومرة كان عليه أن يستخدمه، لمساعدة الكلب فى الخروج من جرف كان يوارى أخدودًا عميقًا، وكان الحيوان قد غاص فيه مصدرًا نباح رعب.

فى لحظة تالية، خرج الكلب. واستخدم الرجل أداته الخطافية لاختبار عمق الثلج، ووجد طرقًا للجانب الآخر،

لكنه قبل أن يصل إليه اهتز التل، واندفعت كتلة من الثلج والصخر والطين منهارة من المرتفعات، جامعة قوة دفع فى انجراف أصبح أسرع فأسرع، متجهًا إلى الرجل.

ونبح الكلب وجرى. تبعه الرجل، فى وضع غير ملائم بملابسه السميكة، ونجا من الانجراف الرئيسى لكن صخرة ضربت كتفه، وأخرى، وهى مندفعة إلى أسفل، استقرت بثقلها على ذراعه وهو يقع. وحاول جاهدًا أن يتحرك لكنه لم يستطع، ورقد عاجزًا بينما استقرت حشرة على طعام تتجمع عليه الحشرات.

وصفَّر للكلب وأتى موس فى ارتياب، وذيله يتحرك ببطء، غير مرحب بالأمر، لكنه كان حائرًا. كان صغيرًا إلى حد أنه لم يرى الثلج من قبل، وكان حسن التدريب. وكان يعرف أنه لا يجب أن يتحرك دون أمر سيده.

حينئذ لعن وين جونيس التدريب القاسى الذى قدمه للكلب. تدريب كان يضمن أنه إذا قيل له اجلس على

أطرافك الخلفية، قد يجلس يومين، إذا لم يتلق أمرًا معاكسًا، تدريبًا يضمن أن يراقب الكلاب الأخرى لقطيع الأغنام، ولا يتدخل أبدًا؛ تدريبًا يضمن أن يعتمد على ذكاء سيده وليس ذكاءه الخاص.

"البيت، يا فتى" قال الراعى.

لم يستطع التفكير فى أى أمر آخر. إذا ذهب الكلب وحيدًا، سوف يأتون لمعرفة ما حدث له. وإذا لم يسقط الثلج قد يستطيعون تتبع آثاره. إذا لم يسقط الثلج.. أغلق وين جونيس عينيه، وصلى لخالقه، وجعل العرق جلده قاتمًا رغم البرد الذى تسرب خلال ملابسه والرطوبة التى غمرته.

تحيّر الكلب. "البيت" كان أمرًا لجرو تستحيل السيطرة عليه، وليس لكلب ناضج خرج مع سيده إلى التل. زحف إلى الأمام، وهو يعوى.

"البيت أيها الغبى".

كان الصوت غاضبًا لكنه لم يصبح صرخة بعد. نظر الكلب إلى الأغنام، رمادية على خلفية بيضاء مبهرة، وهى محتشدة فى بؤس، وفراؤها الصوفى مزدحم متقارب، وهى تنتظر صابرة، أن يأتى إليها أحد ليجمعها ويرعاها.

وشتم وين جونيس بينه وبين نفسه، لأن إحدى النعاج كان متوقعًا لها أن تضع حملاً، وأى حمل يولد فى الثلج والبرد مقضى عليه إلا إذا استطاع أن يذهب بها إلى الأمان.

" البيت أيها الكلب" صرخ، بكل ما يمكنه جمعه من قوة، وراقب قلقًا ذيل موس وهو يندفع بين ساقيه، وابتعد منحنيًا مطأطأ الرأس، خجلاً، غير مدرك أنه مُعاقب.

لكن لعل موس كان لا يزال غير مصدق لأذنيه. كان

هناك عمل يجب إنجازه، وليس من حق سيده أن ينام على الثلج. وعاد جريًا وحاول أن يحفر أسفل الصخرة التى تحجزه سجينًا. وتنهد جونيس. كان الحيوان المسكين يحاول أن يبذل أقصى ما فى وسعه، لكن المساعدة يجب أن تأتى من الرجال.

"لا" قال بحدة، وتراجع الكلب، رأسه منحنٍ إلى أحد الجوانب، وأذناه شبه مائلتين، وهو فى حيرة.

"البيت" صاح الراعى.

عندئذٍ مشى الكلب لكنه ظل ناظرًا إلى الخلف، وعيناه قلقتان، كما لو أنه كان يأمل أن يرى سيده واقفًا ويتبعه. وفورًا، بعد أن اقتنع بأن ذلك لن يحدث، ركز كل تفكيره فى اتباع الدرب إلى المزرعة.

كان يعرف الطريق، بالرائحة والمشاهد، وبشعوره بالأرض، لكن الرائحة كانت مختفية، ومعالم الأرض قد

زالت، والثلج الناتئ غير المتحطم يكسو كل ما حوله. وغاص وتعثر، وخاف من السكون، ومن عدم وجود الطيور، والضوء الخافت، والوهج المتقد فى السماء.

وكان الكثير فى انتظاره مختبئًا له، لأنه كان صغيرًا. فكل قمة جبل يجب عبورها بصعوبة. وسقط مرة فى جرف صغير، وكافح للخروج منه، وهو يلهث. وهبط مرة إلى الأرض ليستريح، لكن الأمر الذى تلقاه كان بالغ القوة. وكان واجبه أن يطيع، وعليه أن يذهب إلى البيت.

ومسح الراعى، المستلقى حيث سقط، دموع البرد بعيدًا عن عينيه بالأصابع المغطاة بالقفاز، ونظر إلى الأغنام. كانت تقف بشكل مائل إلى أحد الجوانب، الرؤوس بطيئة الحركة، والذيول فى الريح. وعندما تحرك استدار واحد منها إليه، وربما فى بحثه عن مأوى تحت هبوب الثلج الذى غطاه جزئيًا، جاء ووقف بجانبه.

وتبعته الأغنام الأخرى، مقاومة للريح، غير مدركة بأن

قدومها يتيح للراعى قبضة على الحياة. وجذب أقرب صوف إليه، واستلقت الشاة فى الثلج بجواره، حيث وهبها حضور الإنسان المألوف راحة. ودفع يديه فى الصوف الوافر الذى تفوح رائحته، ونعس، وهو يحلم قلقًا بقهوة ساخنة وشريحة لحم، وحلوى وطبق كلية، ملىء بصلصة مرق اللحم الدافئة، وبدفء وراحة فناء المزرعة. وكل استيقاظ كان يمثل معاناة له إلى حد ما.

كان كلب الراعى فى منتصف طريقه إلى البيت. وتسببت الريح فى ابتلال عينيه، ولسعت مقلتى عينيه، وجمدت خطمه، حتى أنه كان هناك ثلج معلق بالفراء حول فكه.

وكان احتياجه للرجال، أكثر منه للطعام. الرجال الذين يشجعونه ويساعدونه ويقدمون له المودة. ولم يكن يتحمل المشهد الطبيعى الموحش حيث لا شىء يتحرك، وكان على درجة كبيرة من الانخفاض على الأرض، بحيث

لا يرى العلامة البعيدة جداً للدخان، الباعث على السرور الصادر من مداخن بيت المزرعة.

تغلغل فى الدرب المتآكل بسبب المرور المتكرر للأغنام والرجال وجرى، كما لو كان فى رحلة ممتعة، وكانت الحركة الأكثر تحرراً تعطيه دفئًا.

وعندما توقف، مجهداً، وتنفسه يتصاعد فى الهواء، هز رأسه غير مسرور من تلك العلامات المدهشة بشىء لم يستطع فهمه.

لقد انتهى الدرب. حيث كان الرجال قد انصرفوا إلى مزرعة أكثر انخفاضًا من الوادى. وبالنسبة إليه، كانت الأغنام لاتزال على التل، أحاط بها سقوط ثلج نوفمبر المفاجئ المبكر فى غير موسمه، وهى مستلقية وبيضاء، وكان الممر الوحيد خاليًا من العوائق حول الساحة، حتى يمكن إحضار البقر لحلبه، والخنازير والدواجن لتغذيتها.

كان الكلب قد اقترب من المنزل، عندما هبت عاصفة ثلجية شديدة، جاءت، بالنسبة إليه، بدون أى إنذار. وفى لحظة كان مدفوعًا، وفى استطاعته أن يرى، خلال ثلج صلب حيث كانت آثار ثعلب وفاقوم[1] وابن عرس، وعلف طيور. وتلى ذلك، إصابته بالعمى المؤقت عندما تحركت الرقاقات الضخمة، كالدوامة فى الريح وسقطت على عينيه وخطمه، وعلى الكتفين والظهر، وعلى الرأس والعنق، حتى أنه هز نفسه مرارًا، ثم جلس فى الثلج بارد الملمس مستخدمًا فى البداية أحد مخالبه، ثم مخلبين فى محاولة إبعاد المادة العالقة الغريبة، التى منعته من الرؤية والحركة.

وكان من غير المجدى مواصلة السير. وانحنى مطأطأ الرأس حيث استرخى، منصتًا لعويل الريح

---

(١) الفاقوم stoat: حيوان من فصيلة بنات عرس وخاصة فى الطور الذى يكون لونه فيه بنيًا (المترجم).

القادمة من الشمال، والأصوات الآتية من أسفل، والتى أصبحت أقرب وأكثر ألفة. صليل دلو، وأصوات بعيدة مكتومة، وخوار البقرة، خلال قيادتها إلى المأوى، ونباح كلب.

وأتاح له ذلك حل اللغز. فنبح بحدة وبصوت مرتفع، ينادى الكلب فى المنطقة السفلية، وسمع ركس زميله وأجاب بنباح سار تواصل، حتى بعد أن صاح المزارع ناهرًا إياه.

وعندما استراح ركس استراحة مؤقتة، واصل نبح موس من جديد.

"داميت، إنه موس هناك" نادى المزارع على زوجته، ووقف فى مدخل الممر، محدقًا فى الرقاقات الضخمة تتحرك كالدوامة.

"ما الذى حدث لوين، إذن؟".

وجعلت مير توماس تحدق فى الكلب لا أكثر. لم يأت الكلب وحده من قبل أبداً، لم يحدث ذلك منذ كان جروًا. لقد دربه وين بشكل جيد جداً لإرساله بعيداً كعقاب على عدم الطاعة. وإلا لم يكن يستطيع أن يرسل الحيوان إلى المنزل وحده فى ليلة مثل هذه.

"ما الذى يمكنك أن تفعل؟" سألت داى، هامسة تقريباً، والخوف أفقدها صوتها.

كان المزارع يجلس قبل ذلك مرتدياً سترته، يطلبُ أرقاماً عند الهاتف الذى كان الصلة الوحيدة مع الجيران، على مسافات بعيدة، لرؤيتهم أو الاتصال بهم فى حالات الحوادث.

"تباً له، الخط ليس فيه حرارة" قال بعد الهز العبثى لدعامة جهاز الاستقبال.

"لا يمكنك أن تخرج فى هذه الحالة" دفعت مير شعرها الأسود إلى الخلف بيديها، علامة على الانزعاج الشديد، وهو ما لاحظه داى. توقف عند الباب ونادى.

"موس، تعالى هنا يا موس، أيها الكلب الماهر".

نبح الكلب، ومسترشداً بالصوت زحف على المرتفع، منزلقًا على ثلج، كان قد تكوّن على قمة كمية ماء صغيرة ظهرت فى الربيع.

حدّق داى فى الليل. كانت الظلمة المتجمعة قد أخفت كل شيء والشجرة، التى تكون واضحة عادة، أصبحت شكلاً غامضًا، والتى تكون لطيفة مع الثلج، بديعة الحسن فى النهار، أصبحت حينئذ عدوانية، ورمزًا للطقس الذى شل كل الحركات على التل.

نبح الكلب من جديد. وكانت الظلمة سائدة، وكان منخفضًا جدًا، حتى أنه لم ير أضواء بيت المزرعة، التى كانت، بالنسبة له، مختفية خلف الحائط المنخفض الذى كان قائمًا، محدبًا وغير قابل للاكتشاف، مانعًا إياه من الرؤية.

"موس، أيها الفتى، تعال هنا الآن".

كان الصوت مرحبًا، حميميًا فى الليل. واندفع تجاهه وأصيب بالإحباط، مع نباح قصير دلالة على الخوف، فى أخدود مختفى وعميق. حاول أن يحفر بمخالبه طريقًا للخروج، لكن الثلج الناعم كان هشًا وتساقط، تاركًا إياه ينتحب خلف الحائط.

أحضر داى توماس الكشاف الكبير، الذى كان يستخدمه فى حظيرة الأبقار، عندما تكون البقرة فى حالة ولادة لعجل. وكان الكشاف يلقى دائرة ضوء خافت على الثلج المتجمع، الذى تلقى ضربات متكررة من حوافر البقر، وأصبح مستويًا عجينيًا مطحونًا وذاب وتجمد من جديد، حتى أصبح حينئذ، مثل نهر جليدى، يهدد الرجل بكارثة مفاجئة إذا فشل فى مراقبة خطواته.

كان الكلب يئن من جديد، وسار داى بحذر نحو الصوت، وصوته يطمئنه.

انحنى فوق الحائط، وكان يشعر به صلبًا تحت الثلج

الذى تهاوى تحت ثقله، ورأى الكلب، رقعة سوداء على خلفية متألقة. وتحرك، وانحنى إلى أسفل، وأمسك مؤخرة العنق الرخوة وسحب بقوة، وبدأ موس، الذى ارتبك مسروراً لأنه صار من جديد مع الرجال، يئن ويهز ذيله، ويلعق يد الرجل فى بهجة الترحيب.

"أنت لا تفعل ذلك عادة" قال داى، عندما أحضر الكلب إلى الدفء. ووضع أمامه طعاماً. أما موس فقد حدق فيه، وتذمر ورفض أن يأكل.

"حسناً، الآن من الأفضل لك أن تأكل. لن يمكننا العثور على الراعى الآن" قال الرجل، وهو ينظر إلى الخارج فى الظلام حيث الرقائق الثلجية فى حركة دوامية، فى خفة الريش، تنجرف وتتعلق بحظيرة الأبقار، ومخزن الحبوب والإسطبل. ووراء رقعة الضوء، كان أحد الأفراس يصدر شكوى، وهو خائف من الطقس أثناء انجراف رقائق الثلج إلى باب إسطبله شبه المفتوح.

ذهب داى لإغلاقه، وهو ينزلق ويسب. وعاد فى الوقت المناسب ليرى الكلب، ونصف ساق حمل فى فمه، وهو يندفع بسرعة فى الظلمة.

"اللعنة أيها اللص الصغير" قال غاضبًا. "لا يلمس طعامه، ويأخذ طعامى".

"هل أنت ذاهب إلى التل؟" سألت مير وهى مشغولة عند البالوعة.

تحرك داى قلقًا، وهو ينظر إلى الخارج فى الظلمة. كان الثلج قد أصبح كثيفًا، ويتحرك فى دوامة نحوه، ويدور فى اتجاه معاكس إلى أعلى، عندما تهب الريح، وأنصت بعدم سرور إلى صرخة الريح العاصفة، وصوتها فى المدخنة.

"سيكون اثنان منا مفقودين هناك فى الخارج" قال أخيرًا، غير راغب فى مواجهة الحقيقة، لكنه مازال مدركًا

مسؤوليته تجاه زوجته، والفتية الثلاثة النائمين فى أمان فى الدور العلوى.

"مع أول ضوء" قال: "سوف أطلب مساعدة من وليامس. لا يمكن حتى تتبع أثر الكلب فى الثلج. كل الآثار تكون مغطاة".

كان قلقه شديداً، بحيث لا يستطيع النوم. وأزعجه التفكير فى الراعى. ربما كان الرجل ميتًا، لكن الأكثر احتمالاً أنه دُفن فى جرف ما، أو سقط على الثلج، ليموت على بعد بوصات فى البرد القارس.

وبعد وقت طويل، منذ صعدت زوجته إلى الدور العلوى، جلس بجانب النار، وهو يراقب القطط الصغيرة، وهى تلعب بقشة، حملها إلى الداخل من الساحة، حذاء أحد ما، ويفكر فى المناطق المحفوفة بالمخاطر خلف النوافذ، يتمنى لو أنه كان له عمل مفعم بالنشاط فى المدينة، غير مرتبط بالماشية، والتلال القاسية الكئيبة،

يعمل من أجل حصة صغيرة، كادحًا من الأرض، بينما رجال آخرون يسمنون من الطعام الذى ينتجه ويلعبون بمالهم، ويكسبون بسهولة أكثر بكثير مما يجنيه.

ونسى كل ما يخص موس، واللحم المسروق.

كان الكلب يحاول أن يعيد تتبع مساره، ليعود إلى التل وإلى الرجل الذى يعنى الكثير بالنسبة إليه، أكثر من الطعام والدفء. واللحم الذى يقبض عليه بفكيه، أسال اللعاب فى فمه، لكنه لم يأخذ ولو قضمة واحدة. اختار طريقه بعناية، ليخرج من ساحة المزرعة ويعود إلى التل.

كانت الريح خلفه، وبرغم الثلج كان الذهاب أكثر سهولة. كان هناك أثر ضئيل من الرائحة، موجود على الأرض، وتابعه عائدًا، بصعوبة لأن، رائحة لحم الضأن كانت قوية فى أنفه، لكنها لم تخف آثاره المألوفة، ولا الرائحة الكريهة للثعلب، الذى التقط رائحة عابرة لكلب ولحم وأتى يجرى، ليجد كارثة فى انتظاره عندما قابله

انجراف ثلجي، غطاه بكامله، وتركه جائعًا يملؤه الغيظ مما فقده، ودُفن حتى أتى الذوبان، ليجده أكثر نحافة وأكثر تبصراً، بألا يتم حبسه بهذا الشكل مرة أخرى.

توقف انهمار الثلج. وظهر القمر من خلال طبقات السحب، وتألق باللون الأبيض الذى غطى كل الآثار، وأخفى الراعى والأغنام التى حمته، وأخفى الدرب.

وواصل موس طريقه. فى بعض الأماكن كان يجاهد، وعنقه منحنى، ساحبًا كل ساق من الثلج، قافزًا يثب هنا وهناك، أكثر فأكثر إجهاداً. ومرة بقى بجانب شجرة محدبة، واستفزه اللحم إلى حد بعيد، لكنه تركه وشأنه. لقد جعل فكيه يتألمان، لكنه واصل طريقه، كأنما يلعب.

وصل إلى البقعة التى كان الراعى مطروحًا فيها، وتوقف ونظر بدهشة إلى الثلج غير المحطم. وبحذر وضع اللحم على الأرض، وشم ما حوله ثم بدأ يحفر. ووجد

الأغنام والرجل فى تجويف صنعته آنفاسهم، وشعر الرجل، الذى كان سعيداً بالهواء المنعش، بخيبة أمل ساحقة، عندما رأى الكلب.

"موس، موس اللعنة عليك، أيها الأحمق الرث، الآن سيموت كلانا هنا" هذا ما قاله، وداعبه الكلب بحركة يائسة من ذيله، غير قادر على فهم سبب عدم ترحيبه به بعاطفة قوية.

وعاد إلى اللحم.

وفى هذه المرة، اقترب بمزيد من الحذر خائفًا من لطمه بسبب المتاعب التى يتسبب فيها. ورأى الراعى، الذى كان يراقبه بعينين غائمتين، نصف ساق الحمل وحدّق فيها، غير مصدق.

"أيها الأحمق الرث (...)، هل عدت إلى البيت؟ آمل أن يكونوا قد رأوْك" قال، ومد يداً ليربت على الفراء

المبتل. ونزل الكلب بجواره ولعق وجهه. وكانت الأغنام أيضًا مجهدة من الثلج والبرد، غير ميالة للحركة بالمرة. وراقبت موس، بعيون يقظة، لكنها لم تتحرك. وجاهدت الشاة التى كانت فى حالة ولادة لكى تضع حملها.

أخذ الراعى اللحم، الذى كان ملوثًا ومغطى بالثلج، لكنه سحبه بأسنانه، وقذف الأجزاء الخارجية منه إلى الكلب، الذى أخذ مكافأته بشره، أثناء نخر الرجال فى العظم، حيث كان يتضوَّر جوعًا، ولم يهتم بما يأكله.

واقتفى المزارع آثار الكلب فى الثلج بعد ذلك بساعتين، مع رجال من المزرعة حتى الغور، حيث وجد اثنين منهم نائمين، وهم يضمان الحمل فى حضنيهما، والشاة تحت رأس الراعى، تقوم بدور وسادة، ورأسها ممتدة، لكى تلحس ابنها.

حدّق داى توماس فيهم، وفى الكلب، الذى جرى لتحيته، وفى العظم الملقى منحوتًا نظيفًا بجانبهما.

"أحضر لى موس بعض الطعام" قال الراعى، شاعراً بالرضى وهو ينظر إلى الكلب، أثناء إزالة الصخرة والثلج عن ذراعه، ومساعدته على الوقوف ولفه فى بطاطين لوضعه على الحمالة، التى كان المزارع الثانى قد أحضرها معه. واسترجع قواه بسرعة، مع القهوة الساخنة، المضاف إليها مقدار طفيف من مشروب كحولى مقطر من دبس السكر المتخمر، ولم تكن إصابة ذراعه، باستثناء الكدمات، سيئة.

وفى تلك الليلة، بعد أن تم تزويده بمكان للنوم فى بيت المزرعة الدافئ على أريكة مير توماس، التى رأت أنه مخدع أفضل من مخدعه فوق حظيرة الأبقار حتى يتحسن ويستريح، راقب وين كلبه، وهو يأكل وجبة تناسب ملكًا.

"أوه، موس، أنت فتى عظيم" هذا ما قاله. واستدار الكلب ونظر إليه، وكان ذيله يضرب، بدوى هادئ على

الأرضية الصلبة قبل أن يعود إلى الطبق، الذى أعدته له مير كحق له.

الماعز زلاتى

إسحاق باشيفيس سنجر

فى أيام هانوكاه[٢]، كان الطريق من القرية إلى المدينة يصبح مغطى بالثلج عادة، لكن فى ذلك العام كان الشتاء لطيفًا. وكانت أيام هانوكاه قد اقترب مجيئها، ومع ذلك تساقط القليل من الثلج. أشرقت الشمس أغلب الوقت. واشتكى الفلاحون من أنه بسبب جفاف الجو، قد يكون محصول حبوب الشتاء قليلاً. وتبرعمت حشائش جديدة، وأرسل الفلاحون ماشيتهم إلى المرعى.

وبالنسبة لريفين، تاجر الفراء كان ذلك العام سيئًا، وبعد تردد طويل قرر أن يبيع الماعز زلاتى. كانت عجوزًا وتعطى القليل من اللبن. وعرض فيفيل، جزار المدينة

---

(٢) هانوكاه Hanukkah: عيد مدته ٨ أيام فى الخامس والعشرين من الشهر الثالث فى التقويم العبرى لإحياء ذكرى النصر عام ١٦٥ قبل الميلاد للمكابيين (يهودية) (المترجم).

ثمانية جلدرات[٣] ثمنًا لها. ويمكن بهذا المبلغ شراء شموع هانوكاه، وبطاطس وزيت للكعكة البنية[٤]، وهدايا للأطفال، ومتطلبات العيد الأخرى للمنزل. وطلب ريفين من ابنه الأكبر آرون، أن يذهب بالماعز إلى المدينة.

وفهم آرون ما الذى يعنى أخذ الماعز إلى فيفيل، لكن كان عليه أن يطيع أبيه. وأزالت أمه لياه الدموع عن عينيها عندما سمعت الأنباء. وانتحبت أختا آرون آنا وميريام بصوت مرتفع. وارتدى آرون سترته المحشوة كاللحاف، وقبعة ذات غطاء للأذنين، وربط حبلاً حول عنق زلاتى، وأخذ معه شريحتى خبز بالجبن؛ ليأكلهما فى الطريق. كان آرون يتوقع أن يسلم الماعز فى المساء، وأن يقضى الليلة عند الجزار، ثم يعود فى اليوم التالى بالمال.

---

(٣) الجلدر gulder: العملة الهولندية (المترجم).

(٤) كعكة pancake: كعكة رفيعة مصنوعة من خليط سائل أو شبه سائل من الطحين والحليب والبيض يصب على سطح دهنى ويطبخ حتى يصبح لونه بنيًا (المترجم).

وأثناء توديع العائلة للماعز، ووضع آرون الحبل حول عنقها، كانت زلاتى واقفة متحملة وودودة، كما لم تفعل من قبل. كانت تلحس يد ريفين. وهزت لحيتها الصغيرة البيضاء. كانت زلاتى تثق فى البشر، وتعرف أنهم يطعمونها دائمًا ولم يؤذوها أبدًا.

وعندما خرج بها آرون إلى الطريق فى اتجاه المدينة، كانت الدهشة تبدو عليها إلى حد ما. لم يتم أخذها أبدًا فى هذا الاتجاه من قبل. ونظرت إلى الخلف مستفهمة، كما لو أنها تسأله، "إلى أين تأخذنى؟". لكن بعد لحظة، بدا أنها استنتجت أن الماعز لا يجب أن تطرح أسئلة. وبرغم ذلك، كان الطريق لا يزال مختلفًا. مرا بالحقول الجديدة والمراعى وأكواخ لها أسقف من القصب. وهنا وهناك كان كلب ينبح وجرى وراءهما، لكن آرون طارده بعصاه.

كانت الشمس متألقة عندما ترك آرون القرية، ثم

تغير الطقس فجأة، ظهرت سحابة ضخمة سوداء، ذات مركز ضارب إلى الزرقة فى الشرق، ونشرت نفسها بسرعة فى السماء. وهبت عاصفة باردة فى نفس الوقت. طارت الغربان فى مستوى منخفض ناعقة. وبدا الأمر فى البداية، كما لو أن المطر على وشك السقوط، لكن بدلاً من ذلك بدأ هطول بَرَد كما فى الصيف. كان الوقت مبكرًا فى الصباح، لكن الجو، أصبح مظلمًا مثل الغسق. وبعد قليل أصبح البَرَد ثلجًا.

كان آرون، خلال سنوات عمره الاثنتى عشرة، قد رأى كل أنواع الطقس، لكنه لم يجرب أبدًا ثلجًا مثل هذا. كان الثلج من الكثافة، حتى أنه أخفى ضوء النهار. وفى وقت قصير كان طريقهما قد تغطى بكامله. وأصبحت الريح باردة مثل جليد. وكان الطريق إلى المدينة ضيقًا وملتويًا. ولم يعد آرون يعرف موقعه. لم يكن فى استطاعته أن يرى عبر الثلج المتساقط. وما أسرع ما

اخترق البرد سترته المحشوة.

فى البداية لم يبد على زلاتى أنها أدركت التغير فى الطقس. كانت هى أيضًا فى عمر اثنتى عشرة سنة وعرفت معنى الشتاء. لكن عندما غاصت سيقانها أعمق فأعمق فى الثلج، بدأت تدير رأسها وتنظر إلى آرون متسائلة. وبدا على عينيها الرقيقتين أنهما تسألان، "لماذا نحن فى الخارج فى هذه الزوبعة؟". كان لدى آرون أمل فى أن يأتى فلاح مع عربته، لكن أحدًا لم يمر فى ذلك المكان.

أصبح الثلج أكثر كثافة، متساقطًا على الأرض على هيئة رقائق كبيرة تدور بسرعة. ولمس حذاء آرون من أسفله نعومة حقل محروث. وتأكد له أنه لم يعد على الطريق. لقد صار تائهًا. ولم يعد قادرًا على تمييز الشرق من الغرب، ولا الطريق إلى القرية أو المدينة. وصفَّرت الرياح وعوت، مما جعل الثلج يدور بسرعة على هيئة

دوامات. وبدا الأمر كما لو أن عفاريت بيضاء تلعب لعبة المطاردة فى الحقول. وتصاعد غبار أبيض فوق الأرض. توقفت زلاتى، لم يكن فى قدرتها أن تسير أبعد من ذلك. وأصبحت صعبة المراس، ثبتت حوافرها فى الأرض، كما لو أنها تطالب بإعادتها إلى البيت. وتدلت الكتل الجليدية على لحيتها البيضاء، وكان قرناها مصقولين بالصقيع.

لم يكن آرون يريد أن يعترف بالتغير، لكنه عرف تماما فى نفس الوقت، أنهما إذا لم يجدا ملجأ فسوف يتجمدان حتى الموت. لم تكن العاصفة عادية. كانت عاصفة ثلجية شديدة ورياح عاتية. ووصلت كمية الثلج المتساقطة إلى ركبتيه. وكانت يداه مخدرتين، ولم يعد يشعر بأصابعه. وبدأ يشعر بالاختناق وهو يتنفس. وشعر بأنفه كما لو كانت متخشبة، وجعل يفركها؛ ليزيل عنها الثلج. وبدأت مناشدة زلاتى تتحول إلى صوت مرتفع. لقد سحبها هؤلاء البشر الذين تثق فيهم إلى فخ.

وبدأ آرون يصلى لله من أجل نفسه؛ ومن أجل الحيوان البرىء.

وفجأة وجد ما يشبه تلة. اندهش مما يمكن أن تكون. من الذى كدس الثلج على هيئة هذه الكومة الضخمة؟ تحرك تجاهها، وسحب زلاتى خلفه. وعندما اقترب منها، أدرك أنها كانت كومة حشائش مجففة كبيرة غطاها الثلج.

رأى آرون فوراً أنهما نجيا. وبمجهود كبير، شق طريقه خلال الثلج. كان صبيًا قرويًا ويعرف ما عليه أن يفعل. وعندما وصل إلى كومة الحشائش فرّغ ملجأ مريحًا له وللماعز. لا يهم مدى برودة الجو فى الخارج، فداخل الكومة يكون دافئًا باستمرار. وكانت الكومة طعامًا لزلاتى. وعندما شمتها صارت راضية، وبدأت تأكل. وفى الخارج واصل الثلج السقوط، وغطى بسرعة الممر الذى شقه آرون. لكن صبيًا وحيوانًا يحتاجان إلى

التنفس، وبالكاد كان هناك هواء فى مخبئهما. وثقب آرون نوعًا من النافذة، خلال الكومة والثلج ونظف الممر بحرص.

وبعد أن أكلت زلاتى حتى شبعت، جلست على ساقيها الخلفيتين، وبدت وقد استعادت ثقتها فى الإنسان. وأكل آرون شريحتى الخبز والجبن اللتين كانتا معه، لكن بعد الرحلة الصعبة، كان لا يزال يشعر بالجوع. نظر إلى زلاتى ولاحظ أن أضراعها مليئة. استلقى أسفلها، وجعل وضعه بحيث عندما يحلبها يمكنه تلقى انبثاق اللبن فى فمه. كان اللبن وافرًا وحلوًا. ولم تكن زلاتى متعودة على أن تُحلب بهذه الطريقة، لكنها لم تقاوم. وبالعكس بدى أنها متحمسة؛ لأن تكافئ آرون لإحضاره إياها إلى ملاذ كانت كل حوائطه وأرضيته وسقفه مصنوعة من الأكل.

ومن خلال النافذة، كان فى استطاعة آرون أن يلقى

نظرة على الفوضى فى الخارج. حملت الرياح أمامها ركام الثلج. وكان الجو مظلمًا تمامًا، فلم يعرف ما إذا كان الليل قد جاء قبل ذلك الوقت أم أنها ظلمة الرياح. وحمدًا لله أن داخل الكومة من العشب المجفف لم يكن باردًا. كانت الحشائش الجافة، وزهور الحقل تفيض بدفء شمس الصيف. أكلت زلاتى كثيرًا، وكانت تقضم برفق وبشكل مستمر، من أعلى وأسفل، ومن اليسار ومن اليمين. بعد ذلك بدأ يصدر عنها دفء الحيوان، فعانقها آرون. كان يحب زلاتى دائمًا، ولكنها حينئذٍ كانت مثل أخت. كان وحيدًا، محرومًا من أسرته، ويحب أن يتبادل الحديث. وبدأ يوجه كلامه لزلاتى. "زلاتى، ما رأيك فى ما حدث لنا؟" سألها.

"ما ا ا ء" أجابت زلاتى.

"لو لم نجد هذه الكومة من العشب المجفف، لكان كلانا قد تجمد متيبسًا الآن" هذا ما قاله.

"ما ا ا ء" كانت إجابة الماعز.

"لو استمر تساقط الثلج على هذا المنوال، قد يكون علينا أن نمكث هنا عدة أيام".

"ما ا ا ء" ثغت زلاتى.

"ما معنى "ما ا ا ء؟" سأل آرون. "قد يكون من الأفضل أن تتكلمى بوضوح".

"ما ا ا ء، ما ا ا ء"، حاولت زلاتى.

"حسنًا لتكن ما ا ا ء إذن"، قال آرون متفهمًا. "لا يمكنك الكلام، لكنى أعرف أنك تفهمين. أنا أحتاج إليك وأنت تحتاجين إلىّ. أليس هذا صحيحًا؟".

"ما ا ا ء".

غلب النوم آرون. صنع وسادة من بعض الحشائش الجافة، وأسند رأسه عليها، وغفى. وشرعت زلاتى أيضًا فى النوم.

عندما فتح آرون عينيه، لم يكن يعرف هل الوقت نهاراً أم ليلاً. وكان الثلج قد أغلق النافذة. حاول تنظيفها لكنه عندما ثقب حتى وصل إلى طول ذرعه، لم يكن قد وصل بعد إلى الخارج. ومن حسن الحظ أن عصاه كانت معه، وكان قادراً على تحطيم الثلج، حتى وصل إلى الهواء الطلق. كان الظلام لا يزال موجوداً في الخارج. واستمر الثلج يتساقط والرياح تعول، بصوت واحد في البداية، ثم بعدة أصوات. كان لها أحياناً صوت قهقهة شيطانية. واستيقظت زلاتي أيضاً وعندما حياها آرون، أجابت "ما ا ا ء". نعم تتكون لغة زلاتي من كلمة واحدة، لكنها تعني أشياء كثيرة. لقد كانت تقول حينئذٍ، "يجب أن نقبل كل ما يهبنا الله – الحرارة، والبرد، والجوع، والرضا، والنور، والظلمة".

وكان آرون قد استيقظ جائعاً. كان قد أكل طعامه، لكن زلاتي كان لديها الكثير من اللبن.

مكث آرون وزلاتى ثلاثة أيام فى كومة الأعشاب الجافة. وكان آرون يحب زلاتى دائمًا، لكنه فى تلك الأيام الثلاثة أحبها أكثر فأكثر. لقد غذته بلبنها، وحافظت على أن يظل دافئًا. وأعطته السلوى بصبرها. وحكى لها الكثير من الحكايات، وكانت ترفع أذنيها دائمًا وتنصت. وعندما ربت عليها، لحست يده ووجهه. ثم قالت، "مااااء"، وعرف أنها تعنى، أنا أيضًا أحبك.

تساقط الثلج ثلاثة أيام، ومع ذلك لم يكن بعد اليوم الأول بنفس الكثافة وتوقفت الرياح. وكان آرون يشعر أحيانًا، أنه لم يكن هناك صيف أبدًا، وأن الثلج كان يتساقط باستمرار، منذ زمن أبعد من أن يتذكره. وكأن لم يكن لديه، آرون، أبدًا أب أو أم أو أختين. كان ابن الثلج، وُلد من الثلج، وكذلك كانت زلاتى. كانت بالغة الهدوء فى كومة القش المجفف، حتى أن أذنيها كانتا تصنعان صوتًا فى الصمت. ونام آرون وزلاتى كل ليلة

وجزءًا كبير من النهار. وبالنسبة لأحلام آرون: كانت كلها تدور حول الطقس الدافئ. حلم بالحقول الشاسعة، والأشجار مكسوة بالأزهار، وبالجداول النقية، والطيور المغردة. وفى الليلة الثالثة: كان الثلج قد توقف، لكن آرون لم تكن لديه الجرأة لشق طريقه إلى البيت فى الظلام. وأصبحت السماء صافية، والقمر متألقًا، يلقى شبكات فضية على الثلج. شق آرون طريقه إلى الخارج ونظر إلى العالم. كان أبيض اللون، هادئًا، يحلم أحلام التألق السحرى. كانت النجوم كبيرة وقريبة. وعام القمر فى السماء كما لو كان فى بحر.

وفى صباح اليوم الرابع: سمع آرون صليل أجراس عربة جليد. لم تكن كومة الأعشاب الجافة بعيدة عن الطريق. وأوضح الفلاح الذى كان يقود العربة الطريق له: ليس إلى المدينة وفيفيل والجزار، ولكن إلى البيت فى القرية. وكان آرون قد قرر فى كومة القش الجاف ألا

يتخلى عن زلاتى.

وكانت عائلة آرون، والجيران قد بحثوا عن الصبى والماعز، لكنهم لم يعثروا على أى أثر لهما خلال العاصفة. وخشوا أن يكونا قد فُقدا. وبكت أم آرون وأختيه من أجله، وظل أبوه صامتًا مكتئبًا. وفجأة، أتى أحد الجيران يجرى إلى بيتهم بأنباء، بأن آرون وزلاتى آتيان على الطريق.

حل فرح عظيم على العائلة. وحكى لهم آرون كيف وجد كومة القش الجاف، وكيف غذته زلاتى بلبنها. وقبّلت أختا آرون زلاتى، واحتضنتاها، وزودتاها بطعام خاص من الجزر، على هيئة قطع صغيرة، وقشور البطاطس، التى التهمتها زلاتى بنهم.

ولم يفكر أحد مرة أخرى فى بيع زلاتى، وبعد أن توقف الطقس البارد فى النهاية، احتاج القرويون إلى خدمات -- ريفين - تاجر الفراء مرة أخرى. وعندما أتى

هانوكاه، كان فى استطاعة أم آرون أن تقلى الكعك الرفيع كل مساء، وحصلت زلاتى على نصيبها أيضًا. ورغم أنه كان لزلاتى حظيرتها الخاصة كانت تذهب غالبًا إلى المطبخ، تضرب على الباب بقرنيها؛ لتبين أنها متأهبة للزيارة وكان يسمح لها بالدخول دائمًا. وفى المساء كان آرون وميريام وآنا يلعبون لعبة الدريدل dreidel جلست زلاتى بالقرب من الموقد، تراقب الأطفال وشموع هانوكاه المرتجفة.

ويحدث أحيانًا أن يسألها آرون، "زلاتى، هل تذكرين الأيام الثلاثة التى قضيناها معًا؟".

وقد تحك زلاتى عنقها بأحد قرنيها، وتهز رأسها الأبيض الملتحى، ويصدر عنها الصوت الوحيد، الذى يعبر عن كل أفكارها، وكل حبها.

ریکی تیکی تافی

رودیارد کپلنگ

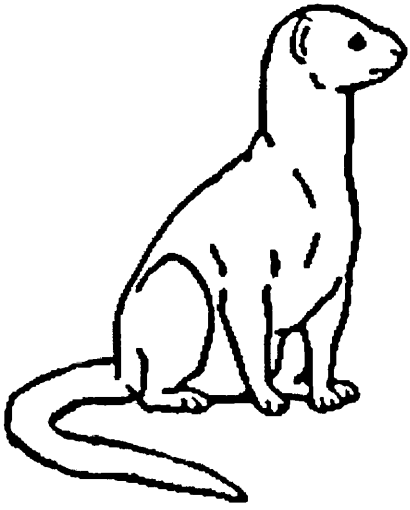

هذه هى قصة الحرب العظيمة التى خاضها ريكى تيكى تافى، بمفرده فى حمام البيت الصغير فى معسكر سيجوولى. وساعده دارزى، الطائر الخياط[٥] وشوشوندرا، فأر المسك[٦] الذى لم يخرج أبدًا إلى منتصف الأرضية، لكنه كان يزحف دائرًا مع الحائط، معطيًا له النصائح، لكن ريكى تيكى هو الذى خاض المعركة الحقيقية.

كان نمسًا، يشبه إلى حد ما قطة صغيرة بفرائه وذيله، لكنه يشبه تمامًا ابن عرس، فيما يتعلق برأسه وعاداته. كانت عينيه وطرف أنفه الذى لا يهدأ باللون

---

(٥) الطائر الخياط tailor bird: يتسم ببناء أعشاشه بطريقة خياطة الأوراق معًا بألياف النباتات (المترجم).

(٦) فأر المسك musk rat. قارض مائى من أمريكا الشمالية له غطاء بنى يستخدم بشكل واسع كفراء (المترجم).

الأحمر الوردى، ويمكنه أن يحك نفسه فى أى مكان يريد، بأى ساق، أو الجبهة أو المؤخرة، ما يختار استعماله، يمكنه أن يجعل ذيله كالزغب؛ حتى يشبه فرشاة الزجاجة، وكانت صيحته للحرب، عندما كان يجرى بسرعة فى العشب الطويل هى: "ريك - تيك - تيكى - تيكى - تيك!".

وحدث ذات مرة أن جرفه الفيضان المرتفع فى الصيف من جحره، حيث كان يعيش مع أبيه وأمه، وحمله، وهو يركل بأقدامه وينقنق، إلى أخدود على جانب الطريق. وهناك وجد حزمة صغيرة من العشب عائمة، وتشبث بها حتى فقد حواسه. وعندما نجا، كان راقداً فى الشمس الحارة وسط ممر الحديقة، وكان مبللاً جداً فى الواقع، وكان صبى صغير يقول: "ها هو نمس ميت. لنرتب له جنازة".

"لا" قالت أمه. "لندخله المنزل ونجففه. ربما لا يكون

ميت حقًا".

وأخذاه إلى داخل المنزل، ورفعه رجل كبير بين إصبعه والإبهام، وقال إنه ليس ميتًا، لكنه شبه مختنق، لذلك غطوه فى صوف قطنى، وأدفأوه، وفتح عينيه وعطس.

"والآن" قال الرجل الكبير (وكان إنجليزيًا انتقل حديثًا إلى البيت الصغير)، "لا تخيفانه؛ وسوف نرى ما سنفعل به".

أصعب شىء فى العالم أن تخيف نمسًا لأنه نهم للفضول إلى حد بعيد. وشعار كل فصيلة النمس هو "اجر واكتشف"، وريكى تيكى كان نمسًا أصليًا. نظر إلى الصوف القطنى، ورأى أنه ليس جيدًا للأكل، وجرى حول المنضدة، وجلس ونسق فرائه، حك نفسه، وقفز فوق كتف الصبى الصغير.

"لا تخف، تيدى" قال أبوه. "هذه هى طريقته، فى

كسب الأصدقاء".

"أووه إنه يداعبنى تحت ذقنى" قال تيدى.

نظر ريكى تيكى إلى أسفل، ما بين ياقة الصبى وعنقه، وجعل يشم عند أذنه، وهبط إلى الأرضية، حيث جلس يفرك أنفه.

"الرب رحيم" قالت أم تيدى، "وهذا مخلوق برى. أتوقع أن يكون أليفًا فنحن كنا عطوفين تجاهه".

"كل حيوانات النمس تتصف بذلك" قال زوجها. "إذا لم يرفعه تيدى من ذيله، أو يحاول وضعه فى قفص، سوف يجرى خارج البيت وداخله، طوال النهار كله. هيا نعطيه شيئًا يأكله".

أعطوه قطعة صغيرة من اللحم النيئ. أحبها ريكى تيكى كثيرًا جدًا، وعندما انتهى من أكلها، خرج إلى الشرفة، وجلس فى أشعة الشمس، وجعل فراءه كالزغب،

حتى يجف من الجذور. عندئذٍ شعر بتحسن حالته.

"هناك المزيد من الأشياء التى يمكن اكتشافها فى هذا المنزل" قال لنفسه" أكثر بكثير مما يمكن لأسرتى أن تكتشفه فى كل حياتها. سوف أبقى بالتأكيد وأكتشف".

قضى كل ذلك اليوم يطوف فى المنزل. وكاد أن يغرق نفسه فى أنابيب الحمام، ووضع أنفه فى الحبر على طاولة الكتابة، وكاد يحرقها بطرف سيجارة الرجل الكبير، حيث تسلق حجر الرجل الكبير؛ ليرى كيف تتم عملية الكتابة. وفى الغسق جرى إلى حجرة نوم تيدى؛ ليراقب عملية إشعال مصابيح الكيروسين، وعندما ذهب تيدى إلى السرير، تسلق ريكى تيكى إليه أيضًا، لكنه كان رفيقًا قلقًا؛ لأنه كان ينهض ليصغى إلى كل ضوضاء طوال الليل كله، وليكتشف مصدرها. دخلت أم تيدى وأبوه، كآخر ما يفعلانه، ليريا صبيهما، وكان ريكى تيكى مستيقظًا على الوسادة. "لا أحب ذلك" قالت أم تيدى، "قد

يعض الطفل". "لن يفعل مثل تلك الأفعال" قال الأب. "تيدى أكثر أمنا مع هذا الحيوان الصغير من أن يكون معه دموم[٧] يراقبه. إذا أتى ثعبان إلى هذه الحجرة الآن...".

لكن أم تيدى لم تفكر فى شىء، على هذه الدرجة من الفظاعة.

فى الصباح المبكر، جاء ريكى تيكى إلى الإفطار المبكر فى الشرفة ممتطيًا كتف تيدى، وأعطوها موزة، وبعض البيض المسلوق، وجلس على حجرهم واحداً بعد الآخر، لأن كل نمس يتلقى تربية جيدة يأمل أن يكون نمس البيت فى يوم ما وأن تكون له حجرات يجرى فيها. وكانت أم ريكى تيكى (التى تعودت العيش فى بيت الجنرال فى سيجوولى) قد أخبرت ريكى، بحرص: ما الذى عليه أن

(٧) الدّموم bloodhound: كلب صيد ذو وبر وأذنين متدليتين وفكين مرتخيين وحاسة شم قوية (المترجم).

يفعله إذا حدث أن التقى رجلاً أبيض.

ثم خرج ريكى تيكى إلى الحديقة؛ ليعرف ما الذى يجب رؤيته. كانت حديقة واسعة، نصفها مزروع تقريبًا، بشجيرات منخفضة، فى حجم أزهار بيوت الصيف فى مارشال نيل، وأشجار الليمون والبرتقال، ولفيف من نباتات الخيزران، وأدغال الحشائش العالية. لحس ريكى تيكى شفتيه. "هذه أرض صيد عظيمة" هذا ما قاله، وأصبح ذيله مثل فرشاة الزجاجة عندما فكر فى ذلك، وجعل يشم هنا، وهناك حتى سمع أصواتًا بالغة الحزن فى شجرة شوكية.

لقد كان دارزى، الطائر الخياط، وزوجته. كانا قد أقاما عشًا جميلاً بجذب ورقتى شجرة كبيرتين معًا وربطاهما من طرفيهما بألياف، وملآ التجويف بقطن وزغب ناعم. وكان العش يتأرجح متذبذبًا، عندما يقفان على طرفه، ويطلقان الصيحات.

"ما الذى حدث؟" سأل ريكى تيكى.

"نحن بائسان تمامًا" قال دارزى: "أحد صغارنا سقط من العش أمس، وأكله ناج".

"هممممم" قال ريكى تيكى، "هذا شيء محزن جدًا - لكننى غريب هنا. من هو ناج؟".

اكتفى دارزى وزوجته بالانكماش خوفًا فى العش دون أن يجيبا، حيث إنه فى الحشائش الكثيفة، أسفل الدغل صدر صوت هسهسة صوت رهيب مجرد من العاطفة، جعل ريكى تيكى يقفز إلى الخلف مسافة قدمين كاملين. عندئذ بوصة ثم بوصة، ظهر الرأس والطيتان الممتدتان بالقرب من رأس ناج، ثعبان الكوبرا الضخم الأسود، الذى يصل طوله إلى خمسة أقدام من اللسان إلى الذيل. وعندما رفع ثلث طوله تمامًا عن الأرض، ظل يتحرك متوازنًا إلى الأمام وإلى الخلف، تمامًا كما يتوازن عنقود هندباء[٨] فى الرياح، ونظر إلى ريكى تيكى بعينى

(٨) هندباء أو طرخشقون dandelion: نبات أوراسى من الفصيلة المركبة ذو رؤوس أزهار صفراء وأوارق متشعبة (المترجم).

الثعبان الشريرتين اللتين لا تغيران تعبيرهما أبداً، مهما يكن ما يفكر فيه الثعبان.

"من هو ناج؟" قال الثعبان. "أنا ناج. لقد وضع الرب براهما، علامته على كل شعبنا عندما نشر أول كوبرا طيتيه بالقرب من رأسه، ليحمى براهما من الشمس عندما كان نائماً.

ونشر طيتى رأسه إلى أقصى حد، ورأى ريكى تيكى العلامة الرائعة على ظهره والتى تشبه تماماً جزء الفتحة فى أداة تثبيت من كلاب وفتحة. أصيب بالخوف للحظة، لكن كان من المستحيل لنمس أن يظل خائفًا لأى فترة زمنية، ورغم أن ريكى تيكى لم يقابل أبداً من قبل كوبرا حيًا، كانت أمه قد غذته ببعض منه ميتًا، وكان يعرف أن عمل كل حيوانات النمس البالغة فى الحياة، أن يحارب الثعابين ويأكلها. وكان ناج يعرف ذلك أيضًا، وفى عمق قلبه اللامبالى كان خائفًا.

"حسنًا" قال ريكى تيكى، وبدأ ذيله يرتفع كالزغب مرة أخرى، "علامات أو لا علامات، هل تظن أن من حقك أن تأكل فرخًا سقط من عش؟"

كان ناج، يفكر بينه وبين نفسه، ويراقب أقل حركة صغيرة فى الحشائش خلف ريكى تيكى. إنه يعرف أن حيوانات النمس فى الحديقة تعنى الموت آجلاً أو عاجلاً بالنسبة إليه وإلى فصيلته، لكنه كان يريد إخراج ريكى تيكى من أرضه. لذلك خفض رأسه قليلاً ووضعها فى أحد الجوانب.

"دعنا نتناقش" قال. "أنت تأكل البيض. فلماذا لا آكل أنا الطيور؟".

"خلفك، انظر خلفك" غنى دارزى.

كان ريكى تيكى، يعرف ما هو أفضل من إضاعة الوقت فى التحديق. قفز إلى أعلى فى الهواء إلى أقصى

ما يمكنه، وبالضبط أسفله، كانت تئز رأس ناجاينا، زوجة ناج الشريرة. كانت قد زحفت خلفه بينما كان يتكلم، لتقضى عليه، وكان قد سمع صوت هسهستها الوحشية، عندما طاشت ضربتها. ثم هبط فوق ظهرها تقريبًا، ولو كان نمسًا أكبر عمرًا، لكان قد عرف أن هذه هى اللحظة المناسبة؛ لتحطيم ظهرها بعضة واحدة، لكنه كان خائفا من جلدة الضربة المرتدة المرعبة للكوبرا. لقد عض بالفعل، لكنه لم يستمر فى العض وقتًا كافيًا، ثم قفز بعيدًا عن الذيل الرشيق، تاركًا ناجاينا جريحة وغاضبة.

"أيها الشرير، أيها الشرير دارزى" قال ناج، وهو يتحرك بسرعة إلى أقصى ارتفاع يمكنه الوصول إليه نحو العش فى شجيرة الشوك، لكن دارزى كان قد بناه بعيدًا عن متناول الثعابين، فلم يستطع الكوبرا سوى التأرجح إلى الأمام وإلى الخلف.

وشعر ريكى تيكى بأن عينيه أصبحتا حمراوتين وساخنتين (عندما تصبح عينا النمس حمراء فإن هذا يعنى أنه غاضب)، وجلس إلى الخلف على ذيله وساقيه الخلفيين مثل كنغر صغير، ونظر إلى كل ما حوله، وأصدر أصواتًا قصيرة وسريعة، مليئة بالغضب. لكن ناج وناجاينا كان قد اختفيا فى الحشائش. عندما تطيش ضربة ثعبان، فإنه لا يقول شيئًا، ولا تصدر عنه أية إشارة تدل على ما سيفعله بعد ذلك. ولم يهتم ريكى تيكى بمتابعتهما؛ لأنه لم يكن يشعر بالثقة فى قدرته على التعامل مع ثعبانين فى نفس الوقت. لذلك هرول إلى ممر الحصى بالقرب من البيت، وجلس يفكر. كان أمرًا جادًا بالنسبة له.

إذا قرأت الكتب القديمة حول التاريخ الطبيعى، سوف تجد أنها تتحدث عن أنه عندما يحارب نمس ثعبانًا ويحدث أن يتلقى عضة، فإنه يجرى بعيدًا، ويأكل بعض

العشب الذى يشفيه. هذا ليس صحيحاً. فالفوز يتعلق فقط بسرعة النظر وسرعة القدم، ينفخ الثعبان تجاه قفزة النمس، - وبما أن أية عين، لا يمكنها ملاحقة حركة رأس ثعبان عندما يسدد ضربته، فإن ذلك يجعل الأمور أكثر إثارة للدهشة من أى عشب سحرى. وكان ريكى تيكى يعرف أنه نمس صغير، وجعله ذلك أكثر رضى عندما يفكر فى أنه استطاع الهروب من ضربة من خلفه. وأعطاه ذلك ثقة فى نفسه، وعندما جاء تيدى جاريًا هابطًا إلى الممر، كان ريكى تيكى مستعداً لتلقى التدليل.

ولكن بمجرد انحناء تيدى لأجفل شىء قليلاً فى التراب، وقال صوت خافت جداً: "انتبه. أنا الموت". لقد كان كارايت، ثعبان التراب البنى الذى يكمن لانتهاز الفرصة على الأرض المتربة، وعضته فى خطورة عضة الكوبرا. لكنه من الصغر، بحيث لا ينتبه إليه أحد، لذلك هو أكثر أذى للناس.

صارت عينا ريكى تيكى حمراوين من جديد، وتراقص فى مواجهة كارايت باهتزازات غريبة، حركة التأرجح تلك التى ورثها من فصيلته. وتبدو مسلية جدًا، لكنها مشية على درجة من التوازن المتقن؛ حتى يمكنك الطيران انطلاقًا منها بأى زاوية تريدها، وفى التعامل مع الثعابين تعتبر ميزة. ولو أن ريكى تيكى عرف فقط، وهو يقوم بعمل أكثر خطورة من مقاتلة ناج، (لأن كارايت كان بالغ الصغر، ويمكن أن يتراجع بسرعة كبيرة)، أنه بدون أن يعضه ريكى بالقرب من خلفية رأسه، يمكنه أن يقوم بالضربة المرتدة فى عينه أو شفته. لكن ريكى لم يكن يعرف: كانت عينيه حمراوين، وكان يتأرجح إلى الأمام وإلى الخلف، يترقب مكانًا مناسبًا يقبض عليه. أفلتت ضربة كارايت. وقفز ريكى جانبيًا، وحاول أن يكثر من حركته، لكن الرأس الترابى الرمادى، الصغير الشرير ضرب بسرعة على بعد ضئيل من كتفه، وكان عليه أن يقفز على الجسم، وتبع الرأس عقبيه عن قرب.

وصاح تيدى فى اتجاه البيت: "أوو، انظر هنا! نمسنا يقتل ثعبانًا". وسمع ريكى تيكى صرخة من أم تيدى. وجرى أبوه خارجًا ومعه عصا، وبمجرد وصوله كان كارايت قد اندفع هاربًا عندئذ، بعيدًا جدًا، وكان ريكى تيكى قد انطلق فجأة قافزًا فوق ظهر الثعبان، موقعًا رأسه حتى مسافة معينة بين ساقيه الأماميتين وهو يعض أعلى الظهر بأقصى ما يمكنه أن يقبض عليه، وتدحرج بعيدًا. شلت عضته كارايت، وكان ريكى تيكى على وشك أن يأكله من الذيل، كما هى عادة فصيلته فى الغذاء، عندما تذكر أن الوجبة الكاملة تجعل النمس بطيئًا وإذا كان يريد أن تكون كل قوته وسرعته جاهزتين، يجب أن يحافظ على نفسه نحيفًا.

وذهب لأخذ حمام ترابى، تحت شجيرات الخروع، عندما ضرب والد تيدى كارايت الميت. "ما فائدة ذلك؟" فكّر ريكى تيكى. "لقد أجهزت عليه تمامًا"، وعندئذ، حملته

أم تيدى من التراب واحتضنته، صائحة بأنه قد أنقذ تيدى من الموت، وقال والد تيدى، أنه كان عناية إلهية، ونظر تيدى إلى المشهد بعينين مرعوبتين. وعلى العكس، كان ريكى تيكى مسروراً من كل الجلبة، التى لم يفهمها بالطبع. ولعل أم تيدى قد وجدت، أنه من المناسب أيضًا أن توبخ تيدى على اللعب فى التراب. وكان ريكى يثابر على أن يجعل نفسه يستمتع.

وفى تلك الليلة، أثناء العشاء، وهو يمشى هنا وهناك بين زجاجات النبيذ على المائدة، كان فى استطاعته أن يحشو نفسه ثلاث مرات بأشياء لطيفة، لكنه تذكر ناج وناجاينا، وفكّر أنه مما يدعو إلى السرور جدًا أن تربت عليه أم تيدى، وتتجهم فى مواجهته، وأن يجلس على كتف تيدى، وأن تحمر عيناه أحيانًا، وقد ينطلق فى صيحته للحرب "ريك تيك تيكى تيكى تيك".

حمله تيدى إلى الفراش، وأصر على أن ينام ريكى

تيكى تحت ذقنه. وكان ريكى تيكى من حسن التربية، بحيث لا يعض أو يخدش، ولكن بمجرد أن نام تيدى، خرج إلى مسيرته الليلية حول البيت، وفى الظلام جرى فى اتجاه شوشوندرا، فأر المسك، يتسلل بحذر حول الحائط. وكان شوشوندرا حيوانًا صغيرًا بائسًا. كان ينتحب ويسقسق طوال الليل، محاولاً اتخاذ قرار: للجرى فى منتصف الجحرة، لكنه أبدًا لم يفعل ذلك.

" لا تقتلنى" قال شوشوندرا، وهو يبكى تقريبًا. "ريكى تيكى لا تقتلنى".

"هل تظن أن قاتل ثعابين يقتل فأر مسك؟" قال ريكى تيكى باحتقار.

"هؤلاء الذين يقتلون الثعابين تقتلهم الثعابين" قال شوشوندرا، أكثر حزنًا من أى وقت مضى. "وكيف لى أن أتأكد، أن ناج لن يخلط بينى وبينك فى أحد الليالى المظلمة؟".

"ليس هناك أقل خطر" قال ريكى تيكى، "لكن ناج فى الحديقة، وأنا أعرف أنك لا تذهب إلى هناك".

"قال لى ابن عمى شوا، الفأر، .." قال شوشوندرا ثم توقف.

"ماذا قال لك؟"

"هش! ناج فى كل مكان، يا ريكى تيكى. يجب أن تتحدث مع شوا فى الحديقة".

"لن أفعل - لذلك يجب أن تقول لى. بسرعة، يا شوشوندرا، وإلا سوف أعضك!".

جلس شوشوندرا، وبكى حتى تدحرجت الدموع على سالفيه. "أنا شخص فقير جداً" هكذا انتحب. "لم يكن لدىّ أبداً ما يكفى من القوة؛ لكى أجرى إلى منتصف الحجرة. هش! لا يجب أن أقول لك أى شىء. ألا تسمع يا ريكى تيكى؟".

أنصت ريكى تيكى. كان البيت هادئًا مثل السكون، لكنه ظن أن فى إمكانه التقاط أكثر أصوات الخربشة خفوتًا فى العالم، - صوت فى خفوت، ما يصدر عن دبور، يسير على زجاج تقسيم نافذة، - الخربشة الجافة لحراشيف ثعبان على مبنى طوبى.

"هذا هو ناج أو ناجاينا" قال لنفسه. "وهو يزحف فى قناة الحمام. أنت على صواب، يا شوشوندرا، يجب أن أتحدث مع شوا".

تحرك خلسة إلى حمام تيدى، لكن لم يكن هناك شىء، ثم إلى حمام أم تيدى. وفى قاع الحائط الناعم من الجص والرمل، كانت هناك طوبة، تم نزعها لعمل قناة لماء الاستحمام، وعندما تحرك ريكى تيكى خلسة بجوار الحاجز الأسمنتى للبناء الحجرى، حيث تم وضع حوض الاستحمام، سمع ناج وناجاينا يهمسان معًا فى الخارج فى ضوء القمر.

"عندما يخلو البيت من الناس" قالت ناجاينا لزوجها، "سوف يكون عليه أن يذهب بعيداً، عندئذٍ سوف تكون الحديقة ملكنا من جديد. اذهب فى هدوء، وتذكر أن الرجل الكبير الذى قتل كارايت، هو أول من يجب أن تلدغه. حينئذٍ عليك أن تخرج وتخبرنى، وسوف نصطاد ريكى تيكى معًا".

" لكن هل أنت متأكدة من وجود ما نكسبه، بقتل الناس؟" قال ناج.

"كل شىء. عندما لا يكون هناك بشر فى البيت الصغير، هل سيكون هناك أى حيوانات نمس فى الحديقة؟ وكلما كان البيت الصغير خاليًا كلما كنا ملك وملكة للحديقة، وتذكر أنه بمجرد فقس بيضنا فى فرشة البطيخ (وقد يحدث ذلك غداً)، سيحتاج صغارنا لحجرة وهدوء.

"لم أفكر فى ذلك" قال ناج. "سوف أذهب، لكن لسنا فى حاجة لأن نطارد ريكى تيكى بعد ذلك. سأقتل الرجل الكبير وزوجته، والطفل إذا استطعت، وأعود فى هدوء. عندئذٍ سيصبح البيت الصغير خاليًا، وسيغادره ريكى تيكى".

شعر ريكى تيكى، بوخز فى كل جسمه، مع غضب وكراهية، عندما سمع ذلك، ثم خرجت رأس ناج من القناة، وتبعه جسمه البارد، الذى يصل طوله إلى خمسة أقدام. ومع غضبه، كان ريكى تيكى خائفًا جدًا، عندما رأى حجم الكوبرا الضخم. لف ناج نفسه، ورفع رأسه، ونظر فى الحمام فى الظلام، وكان فى استطاعة ريكى، أن يرى عينيه تلمعان.

"الآن إذا قتلته هنا، سوف تعرف ناجاينا، وإذا قاتلته على الأرضية المفتوحة، ستكون السباقات فى صالحه. ما الذى يجب علىّ أن أفعله؟". قال ريكى تيكى تافى.

تموّج ناج هنا وهناك، ثم سمعه ريكى تيكى، يشرب من أكبر إناء ماء كان يتم استخدامه لملء حوض الحمام. "هذا طيب" قال الثعبان. "والآن، عندما تم قتل كارايت، كان لدى الرجل الكبير عصا. وربما لا يزال يحتفظ بهذه العصا، ولكن عندما يأتى ليستحم فى الصباح لن يكون معه عصا. سأنتظره هنا حتى يأتى. ناجاينا - هل تسمعيننى؟ - سوف أنتظر هنا فى هدوء، حتى حلول النهار".

لم تكن هناك أية إجابة من الخارج، عندئذٍ، عرف ريكى تيكى أن ناجاينا ابتعدت. لف ناج نفسه إلى أسفل، لفة لفة، حول الجزء المنتفخ من قاع إناء الماء، وظل ريكى تيكى هادئًا مثل ميت. وبعد ساعة بدأ يتحرك، عضلة عضلة، نحو الإناء. كان ناج نائمًا، ونظر ريكى تيكى إلى ظهره الضخم، متسائلاً حول المكان الأفضل لقبضة جيدة. "إذا لم أحطم ظهرة فى أول وثبة" قال ريكى، "قد

يستطيع الاستمرار فى القتال - أوو، ريكى!". نظر إلى سمك الرقبة تحت الطيتين، بالقرب من الرأس، لكن ذلك كان كثيراً بالنسبة له، وقد تجعل عضة بالقرب من الذيل ناج متوحشًا.

"يجب أن يكون الرأس" قال فى النهاية، "الرأس فوق الطيتين، وعندما أصل إليه، لا يجب أن أتركه يفلت".

حينئذٍ قفز. كان الرأس ظاهراً بعض الشىء من إناء الماء، تحت منحنى فيه، وعندما التقت أسنانه، أسند ريكى ظهره على انتفاخ الإناء الفخارى الأحمر؛ لكى يجذب الرأس إلى أسفل. وأتاح له ذلك كسب ثانية واحدة، واستغل هذا الكسب إلى أقصى حد. ثم جعل يضرب بعنف، وبشكل متكرر هنا وهناك، كفأر يهزه كلب - هنا وهناك على الأرضية، إلى أعلى وإلى أسفل، وحول المكان فى دوائر واسعة، لكن عينيه كانتا حمراوين، وظل قابضًا، بينما الجسم يُساط على الأرضية، مسقطًا

المغرفة المعدنية وطبق الصابون وفرشاة الجلد، وارتطم بالجانب القصديرى من حوض الاستحمام. ومع استمرار قبضته، قارب بين فكيه بشكل أكثر فأكثر إحكامًا؛ ليتأكد أن الكوبرا قد تحطم حتى الموت، ومن أجل شرف فصيلته، فضل أن يتم العثور عليه، وأسنانه مثبتة فى جسم الثعبان. وكان دائخًا، متألمًا، وشعر بأنه يرتجف مفتت الأوصال، عندما انفجر شىء، مثل قصف الرعد خلفه تمامًا، وضربته ريح حارة طائشة، وتركت نار حمراء علامة على فرائه. كان الرجل الكبير، قد استيقظ بسبب الضجيج، وأطلق ماسورتى بارودة صيد على ناج خلف طيتى الرأس تمامًا.

واصل ريكى تيكى القبض وعيناه مغلقتان، حيث تأكد له الآن تمامًا، أن الثعبان مات، وأن الرأس لا يتحرك، ورفعه الرجل الكبير، وقال: "إنه النمس مرة أخرى، أليس: لقد أنقذ الفتى الصغير حياتنا الآن".

وجاءت أم تيدى بوجهٍ شاحب تمامًا، ورأت ما تبقى من ناج، وسحب ريكى تيكى نفسه، إلى حجرة نوم تيدى، وقضى بقية نصف الليلة يهز نفسه بشكل رقيق ليعرف ما إذا كان قد تحطم بالفعل إلى أربعين قطعة، كما تخيل.

عندما أتى النهار، كان شديد التيبس، لكنه كان بالغ السرور بما فعل. "الآن مازال أمامى ناجاينا لحسم أمرها، وسوف تكون أسوأ من خمسة، مثل ناج، وغير معروف موعد فقس البيض الذى تحدثت عنه. يا للغرابة! يجب أن أذهب لرؤية دارزى" هذا ما قاله.

وبدون الانتظار، حتى موعد الإفطار، جرى ريكى تيكى إلى شجيرة الشوك، حيث كان دارزى يغنى أغنية الانتصار، بأعلى صوته. انتشرت أخبار موت ناج فى كل الحديقة، لأن الكناس كان قد رمى الجثة فى كومة النفايات.

"أوو، أنت يا كومة الريش الغبية" قال ريكى تيكى غاضبًا. "هل هذا وقت الغناء؟"

" لقد مات ناج - مات - مات" غنى دارزى. "لقد أمسك به ريكى الشجاع من رأسه وقبض عليه بإحكام. وحمل الرجل الكبير عصا الضرب، وسقط ناج قطعتين. لن يأكل صغارى أبدًا مرة أخرى".

"كل ذلك صحيح تمامًا، ولكن أين ناجاينا؟" سأله ريكى تيكى، ناظرًا بحذر حوله.

"ذهبت ناجاينا إلى قناة الحمام، ونادت ناج".وواصل دارزى كلامه، "وجاء ناج فى النهاية على عصا؛ حمله الكناس على طرف عصا، وقذف به فوق كومة النفايات. دعنا نغنى حول ريكى تيكى العظيم، ذى العين الحمراء" وضبط دارزى حنجرته وشرع فى الغناء.

"لو كان فى استطاعتى أن أصعد إلى عشك، لدحرجت صغارك خارجه" قال ريكى تيكى. "إنك لا تعرف متى

تقوم بالعمل الصحيح، فى الوقت الصحيح. أنت آمن بما يكفى فى عشك عنا، لكنها الحرب، بالنسبة لى هنا فى الأسفل. توقف لحظة عن الغناء، يا دارزى".

"من أجل ريكى تيكى العظيم الجميل سوف أتوقف" قال دارزى. "ما الأمر، يا قاتل ناج المرعب؟".

"أين ناجاينا، للمرة الثالثة؟".

"على كومة النفايات عند الزرائب، تندب على ناج. كم هو عظيم ريكى تيكى بالأسنان البيضاء".

"يا للإزعاج. هل حدث أن عرفت فى وقت ما أين تحتفظ ببيضها؟".

"فى فرشة البطيخ، عند النهاية القريبة من الحائط، حيث تشرق الشمس طوال اليوم تقريباً. لقد أخفته هناك منذ عدة أسابيع".

"ولم تفكر أبداً فى قيمة إخبارى بذلك؟ النهاية بالقرب من الحائط، هل هذا ما قلته؟"

"ريكى تيكى لست مقدماً على آكل بيضها؟".

"ليس أن آكله بالضبط، لو أن لديك ذرة إحساس، لطرت إلى الزرائب، وتظاهرت بأن جناحك مكسور، وجعلت ناجاينا تطاردك إلى هذه الشجيرة. وسوف أذهب إلى فرشة البطيخ، وإذا فعلت ذلك الآن، سوف ترانى".

كان دارزى رفيقًا مغفلاً، ضيق الأفق، لم يستطع أبدًا أن يحتفظ إلا بفكرة واحدة فى وقت واحد، فى مخه، ولأنه يعرف تمامًا، أن صغار ناجاينا يفقسون من بيض مثل بيضه، لم يفكر فى البداية أنه من المشروع قتلها. لكن زوجته كانت طائرًا حساسًا، وتعرف أن بيض الكوبرا يعنى صغار كوبرا فى ما بعد، لذلك فقد طارت من العش، وتركت دارزى: للمحافظة على دفء الصغار، وليواصل غنائه حول موت ناج. كان دارزى يشبه جدًا إنسانًا بطرق ما.

رفرفت أمام ناجاينا عند كومة النفايات، وصاحت: "أوو، جناحى مكسور. قذف الصبى فى البيت حجرًا نحوى وكسره". ثم رفرفت بمزيد من اليأس.

رفعت ناجاينا رأسها وهسهست: "لقد حذرت ريكى تيكى وكنت على وشك قتله. لقد اخترت بالفعل حقًا المكان غير المناسب؛ لكى تصبحين عاجزة فيه". وتحركت نحو زوجة دارزى، وانزلقت إلى الأمام فوق التراب.

"لقد كسره الصبى بحجر" صرخت زوجة دارزى.

"حسنًا، قد تكون تعزية لك، عندما تصبحين ميتة أن تعرفى أننى سوف أحسم أمر الصبى. لقد رقد زوجى، فى كومة النفايات هذا الصباح، لكن قبل الليل، سيكون الصبى فى البيت راقدًا فاقدًا الحركة تمامًا. ما فائدة الهروب؟ أنا واثقة أننى سوف أمسك بك. أيتها الغبية التافهة، انظرى إلىّ".

كانت زوجة دارزى تعرف ما يكفى لكى لا تفعل ذلك، لأن الطائر الذى ينظر إلى عينى ثعبان يصاب بخوف لا يجعله يتحرك. رفرفت زوجة دارزى، وهى تطلق صوتًا حادًا حزينًا، ولم تغادر الأرض أبدًا، وسارعت ناجاينا فى حركتها.

سمعهما ريكى تيكى، وهما يبتعدان فى الممر عن الزرائب، وأسرع إلى نهاية فرشة البطيخ، بالقرب من الحائط. وهناك، فى الكومة الدافئة على مقربة من البطيخ، مخفية بطريقة بالغة الدهاء، وجد خمسًا وعشرين بيضة، فى حجم بيض البنطم[٩]، ولكن مع غشاء ضارب إلى البياض، بدلاً عن قشرة صلبة.

"لم أكن فى يوم ما بهذا التبكير" قال ذلك؛ لأنه استطاع أن يرى صغار الكوبرا، وهى تلتف داخل الجلد،

---

(٩) البنطم bantam: دجاج صغير الحجم (المترجم).

وعرف أنها بمجرد فقسها، يمكن لكل منها قتل إنسان أو نمس.

عض قمم البيض بأسرع ما يمكنه، وكان حذراً وهو يسحق صغار الكوبرا، وجعل يقلب الكومة، من وقت لآخر، ليرى ما إذا كانت قد غابت عنه أية بيضة. وفى النهاية، كان لايزال هناك ثلاث بيضات، وكان ريكى تيكى قد بدأ يضحك فى خفوت بينه وبين نفسه، عندما سمع زوجة دارزى تصيح:

"ريكى تيكى لقد قدت ناجاينا نحو البيت، ودخلَت الشرفة و.. أوو، تعالى بسرعة.. إنها تقصد القتل".

هشم ريكى تيكى بيضتين، وتشقلب إلى الخلف بعيداً عن فرشة البطيخ، ومعه البيضة الثالثة فى فمه، وانطلق مسرعًا إلى الشرفة، بأسرع ما يمكنه. كان تيدى وأمه وأبوه هناك عند بداية الإفطار، لكن ريكى تيكى رأى

أنهم لا يأكلون شيئًا. كانوا يجلسون دون حركة، وكانت وجوههم شاحبة. كانت ناجاينا ملتفة إلى أعلى على الحصيرة، بجانب مقعد تيدى، على مسافة لدغة سهلة لساق تيدى العارية، وكانت تتأرجح إلى الأمام وإلى الخلف؛ تغنى أغنية نصر.

"ابن الرجل الكبير الذى قتل ناج" صدر عنها هسيس. "استمر دون حركة، لم أستعد بعد. انتظر قليلاً. استمروا ساكنين تمامًا، أنتم الثلاثة. إذا تحركتم، سوف أنقض، وإذا لم تتحركوا، سوف أنقض. أوو، أيها الناس الأغبياء، يا من قتلتم زوجى ناج".

كانت عينا تيدى مثبتتين على أبيه، وكل ما استطاع أبوه أن يفعل هو الهمس: "استمر ساكنًا، يا تيدى. لا يجب أن تتحرك. تيدى، استمر ساكنًا".

عندئذٍ، وصل ريكى تيكى وصاح: "استديرى يا

ناجاينا، استديرى وقاتلى".

"الكل فى الوقت المناسب" قالت، بدون أن تحرك عينيها. "سوف أصفى حسابى معك الآن. انظر إلى أصدقائك، يا ريكى تيكى. إنهم ساكنون وشاحبون، إنهم خائفون. لا يجرؤون على الحركة، وإذا خطوت خطوة أقرب، سوف أنقض".

"ابحثى عن بيضك" قال ريكى تيكى، "فى فرش البطيخ بالقرب من الحائط. اذهبى وانظرى يا ناجاينا".

استدارت زوجة الثعبان الضخمة نصف دورة، ورأت البيضة على الشرفة. "آووو.وه! أعطنى إياها" قالت.

وضع ريكى تيكى مخلبيه، كل واحد على جانب من البيضة، وكانت عيناه حمراء بلون الدم. "ما ثمن بيضة ثعبان؟ ثمن كوبرا صغير؟ ثمن ملك الكوبرا؟ ثمن آخر.. الأخير تماماً من بين الصغار جميعًا؟! النمل يأكل الآن

كل الآخرين هناك عند فرش البطيخ!

استدارت ناجاينا تمامًا بسرعة، ناسية كل شيء من أجل بيضة واحدة، ورأى ريكى تيكى والد تيدى، وهو يطلق يدًا كبيرة، ويمسك بتيدى من الكتف، ويسحبه عبر المائدة الصغيرة المليئة بأكواب الشاى، آمنًا وبعيدًا عن متناول ناجاينا.

"مخدوعة! مخدوعة! مخدوعة! ريك تك تك!" ، ضحك ريكى تيكى، "الصبى آمن، لقد كنت أنا ـــأنا ـــأنا الذى أمسك بناج من طيتى الرأس الليلة الماضية فى الحمام". ثم بدأ يقفز إلى أعلى وإلى أسفل، بأقدامه الأربعة معًا، ورأسه قريب من الأرضية. "لقد رمانى هنا وهناك، لكنه لم يستطع أن يتخلص منى. لقد كان ميتًا قبل أن يفجره الرجل الكبير إلى جزأين. لقد فعلتها. ريكى تيكى تيكى! تعالى إذن، يا ناجاينا. تعالى واشتبكى معى. لن تستمرى طويلاً أرملة".

رأت ناجاينا أنها فقدت فرصتها فى قتل تيدى، وأن البيضة صارت بين مخلبى ريكى تيكى. "أعطنى البيضة يا ريكى تيكى. أعطنى آخر بيضى، وسوف أذهب بعيداً ولن أعود أبداً" قالت وهى تخفض طيتى رأسها.

"نعم، سوف تذهبين بعيداً، ولن تعودى أبداً، لأنك سوف تذهبين إلى كومة النفايات مع ناج. صارعى أيتها الأرملة. لقد ذهب الرجل الكبير لإحضار بندقيته!".

كان ريكى تيكى يثب حول ناجاينا، محافظاً فقط على أن يكون بعيداً عن ضربتها، وكانت عيناه الصغيرتان تشبهان جمرة متقدة. استجمعت ناجاينا نفسها، واندفت تجاهه. قفز ريكى تيكى إلى أعلى وإلى الخلف. وضربت المرة تلو الأخرى، وفى كل مرة، كان رأسها يصل إلى ضرب الحصيرة على الشرفة، وجمعت نفسها على هيئة زنبرك ساعة. عندئذٍ رقص ريكى تيكى فى دائرة ليكون خلفها، واستدارت ناجاينا؛ لتجعل

رأسها فى اتجاه رأسه، حتى أن حفيف ذيلها على الحصيرة، أصدر صوتًا، مثل الأوراق الجافة التى تحملها الرياح.

كان قد نسى البيضة، التى ظلت موضوعة على الشرفة، وكانت ناجاينا قد أصبحت أقرب وأقرب إليها، حتى أنها فى النهاية، وبينما ريكى تيكى يتنفس بصعوبة، أمسكتها فى فمها، واستدارت إلى سلالم الشرفة، ثم اندفعت، مثل سهم إلى أسفل عبر الممر، وريكى تيكى خلفها. عندما جرت الكوبرا، لتنقذ حياتها انطلقت مثل الجزء المرن من السوط، وهو يضرب عنق حصان.

عرف ريكى تيكى، أن عليه أن يقبض عليها، وإلا سوف تعود المشاكل من جديد. توجهت رأسًا إلى الحشائش الطويلة عند شجيرة الشوك، وبينما كان يجرى سمع ريكى تيكى دارزى، وهو لا يزال يغنى أغنيته القصيرة البلهاء عن النصر. لكن زوجة دارزى، كانت

أكثر حكمة. طارت من عشها، بينما كانت ناجاينا تبتعد، ورفرفت بجناحيها حول رأس ناجاينا. لو أن دارزى ساعد فى ذلك لكانا قد استطاعا إعادتها، لكن ناجاينا اكتفت بخفض الطيتين بالقرب من الرأس وواصلت الهرب. وكان التأخير الثابت لا يزال يجعل ريكى تيكى بعيداً عنها، وعندما اقتحمت جحر الفأر، حيث كانت هى وناج يستخدمانه سكنًا لهما، كانت أسنانه الصغيرة البيضاء، قد أطبقت على ذيلها، ودخل معها، وقلة نادرة من حيوانات النمس، مهما كانت حكيمة وكبيرة فى السن، تجرأ على متابعة كوبرا فى جحرها. كان داخل الجحر مظلمًا، ولم يعرف ريكى تيكى أبدًا متى يتسع الجحر، ليتيح لناجاينا أن تستدير وتضربه. واستمر ممسكًا بوحشية، وشرع فى مد أقدامه: لتكون مثل كابح على المنحدر المظلم، للأرض الدافئة الرطبة.

حينئذٍ، كفت الحشائش على فتحة الجحر عن

الاهتزاز، وقال دارزى: "لقد انتهى أمر ريكى تيكى! يجب أن نغنى أغنية موته. ريكى تيكى الباسل مات! فناجاينا ستقتله حتمًا تحت الأرض".

وهكذا، غنى أغنية حزينة جدًا، ألفها بدافع اللحظة، وعندما وصل إلى الجزء الأكثر تأثيرًا، ارتعشت الحشائش من جديد، وسحب ريكى تيكى، المغطى بالتراب، نفسه من الجحر خطوة خطوة، وهو يلحس سوالفه. توقف دارزى صائحًا. ونفض ريكى تيكى بعض التراب عن فرائه وعطس. "لقد انتهى الأمر" قال. "لن تخرج الأرملة بعد الآن أبدًا". وسمعه النمل الأحمر الذى يعيش بين سيقان الحشائش، وبدأ يحتشد واحدة تلو الأخرى ليرى إذا كان ما قاله حقيقة أم لا.

لف ريكى تيكى نفسه بين الحشائش، ونام فى مكانه ___ نام ونام، حتى وقت متأخر من المساء، حيث إنه قد أدى عملاً مرهقًا طوال اليوم.

"والآن" هكذا قال عندما استيقظ، "سوف أعود إلى البيت. قل للنَّحاس يا دارزى، وهو سوف يخبر الحديقة أن ناجاينا ماتت".

والنحَّاس طير يصدر عنه ضوضاء، مثل ضربات مطرقة فوق وعاء نحاسى، وسبب صدور هذا الصوت عنه دائمًا، هو أنه منادى البلدة، بالنسبة لكل حديقة هندية، وينشر الأنباء لكل من يهتم بالسماع. وعندما كان ريكى تيكى يسير على الدرب سمع إخطاراته "بالملاحظات" مثل صوت جرس الغداء الصغير جدًا، ثم الصوت الرتيب "دينج ـــدونج ـــتوك!. ناج مات ـــدانج! ناجاينا ماتت! دينج ـــدونج ـــتوك!". وجعل ذلك كل طيور الحديقة تغنى، والضفادع تنق؛ لأن ناج وناجاينا كانا متعدوين على أكل الضفادع والطيور الصغيرة أيضًا.

وعندما عاد ريكى إلى البيت، خرج تيدى وأم تيدى (التى كانت لا تزال شاحبة الوجه تمامًا؛ لأنها أصيبت

بإغماء) ووالد تيدى وكانوا يكادون يبكون من أجله، وأكل فى تلك الليلة كل ما أعطوه له، حتى لم يعد يستطيع أكل المزيد، وذهب إلى الفراش على كتف تيدى، عندما رأته أم تيدى بعدما أتت للاطمئنان فى وقت متأخر من الليل.

"لقد أنقذ حياتنا، وحياة تيدى" هذا ما قالته لزوجها. "فكر فقط فى أنه أنقذ حياتنا جميعا!".

استيقظ ريكى تيكى قافزًا؛ لأن كل حيوانات النمس خفيفة النوم.

" أوو، هذا أنت" قال: "ما الذى يزعجك؟ لقد ماتت كل ثعابين الكوبرا. وإذا لم تكن قد ماتت فإننى هنا".

كان من حق ريكى تيكى أن يشعر بالفخر بنفسه، لكنه لم يبالغ فى الفخر، وظل يحافظ على تلك الحديقة، كما يجب على أى نمس أن يحافظ عليها، بالأسنان والقفز والانطلاق والعض؛ حتى لا يجرؤ أى ثعبان كوبرا على إظهار رأسه داخل الجدران.

باتش

روبرت ليسون

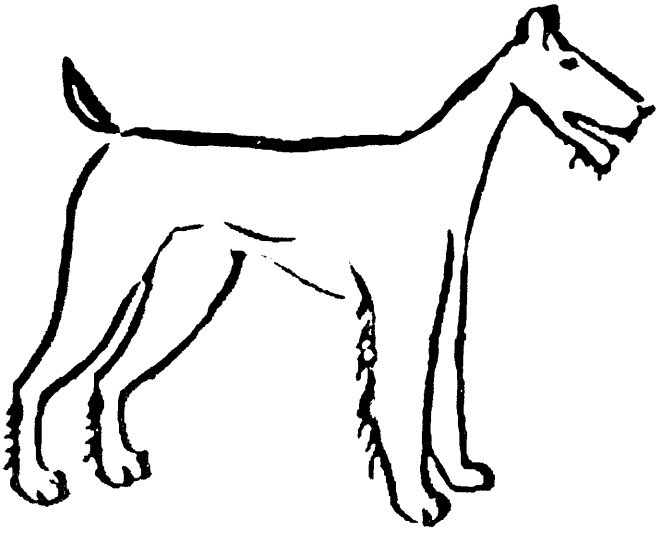

كان باتش هو كلبى. حسنًا، لقد كان كذلك بطريقة ما. عندما تركت العائلة التى تعيش فى البيت المجاور منزلها، جاءت امرأة أرملة؛ لتعيش فيه. وأُشيع عنها أنها كانت معتادة على إدارة حانة، وكانت نافدة الصبر بعض الشىء بسبب التفاف الناس حولها باستمرار. لذلك لم تكن تخرج ، وتكتفى بالجلوس فى حجرتها الأمامية، بأفضل أرديتها، الرداء المخملى الأسود، طوال اليوم مع كلبيها، ممددين على السجادة. كان أحد الكلبين، يشبه سيدة عجوز. لم يكن يذهب إلى أبعد من الباب الخلفى، ويفعل ذلك فقط عندما يكون يائسًا.

أما باتش، كلبها الثانى، فكان يحب الناس، ويحب الخروج من البيت. لذلك أخذته فى نزهة. أو بالأحرى هو الذى أخذنى. لقد كان نوعًا من الهجين بين كلبى الأرديل،(١٠) واللابرادور، بنى اللون، مثل ثعلب (وبالفعل

(١٠) الأرديل Airedale: كلب صيد ضخم ذو أرجل طويلة وشعر متجعد ضارب إلى الصفرة مُعلَّم بالأسود. (المترجم).

حدث مرة أن أطلق عليه أحد الفلاحين النار) مع بقعة[١١]، على أحد عينيه. إذا وصلت إلى الفناء وصفّرت فإنه يندفع خارجًا من الباب المجاور إلى الرصيف، ثم يقفز فوق بوابتنا الأمامية، متوقفًا عند منتصف القفزة، وكل أقدامه الأربعة متوازنة، على الأعمدة الحادة للبوابة، قبل أن يقفز إلى أسفل. وكنت أخاف دائمًا من أن يتعثر، لكن ذلك لم يحدث أبدًا.

قد يذهب معك إلى أى مكان، يندفع تجاه عصا، يثب متخطيًا سياجًا من الشجيرات الصغيرة أو قناة، ويعوم مجتازًا نهرًا صغيرًا. وعندما نجرى فى الغابات، فوق تل أو على الجسور، حيث تنمو نباتات الثوم بالآلاف، وقت الربيع، قد يتدحرج بينها هابطًا المنحدر، ثم يصعد مبتسمًا مثل بيتزا. أو يمكنه أن يقفز متخطيًا قناة؛ ليصل

---

(١١) بقعة patsh من هنا جاءت تسمية الكلب بباتش (المترجم).

إلى مبتغاه الخاص، ثم يعود مبتسماً، لا يشبهه أى شىء على الأرض.

كانت عيناه واسعتين، بنيتى اللون. وكان مليئًا بالطيبة. طالما ظل ذيله العجيب فى جسده. وإذا كنت تصارع أحدًا على الحشائش، فإنه ينضم إليكما، رغم أنه قد يبالغ فى الحماس أحيانًا ويعض الجميع. ومن حسن الحظ، أن يفعل ذلك برفق، هذا ما قالته الأم. وإلا كان قد انتزع ساقك. ومع ذلك، لم نكن فى خطر؛ لأن باتش فى حياته كلها لم يعض أحدًا قط وهو غاضب (سوى مرة واحدة). ولكى أقول لك الحقيقة، بدأت أفكر فى أنه كان متساهلاً إلى حد ما، بل جبان بعض الشىء فى الواقع.

فى يوم ما، عندما كنا نتنزه فى الخارج، مررنا بمزرعة، واندفع تجاهه كلب ضخم أسود خارجًا من الساحة، وهو ينبح هائجًا. تراجع باتش فجأة جاعلاً إياى بينه وبين الكلب الأسود. ولم يكتف بذلك، بل بدأ

يعرج فجأة، فى حالة يرثى لها. وأبعدنا الكلب الأسود، ببعض الوخزات، جيدة التصويب، وفحصت باتش. كان قد أصيب بشوكة فى لبد أحد أقدامه، ولذلك، لم يتفاعل مع الموقف. لكننى شعرت بأنه لم يكن مطابقًا لتوقعاتى. كان كبير الحجم بما يكفى، لكى يدافع عن نفسه، هذا ما اعتقدته.

وكانت الحقيقة بالطبع أنه لم يكن يحب القتال. لو كنا فى الطريق، ورأى كلب راعى ألمانى[١٢] ضخم مذهل، يخص هيكسى، عند الركن، قد ينسل باتش إلى الرصيف الآخر، ويبحث عن ثغرة فى سياج الشجيرات.

كان يفضل الكلاب الصغيرة، وعندما حصل جامى على جرو كان باتش مسروراً. كان مختلطًا مثله تقريبًا،

(١٢) كلب راعى ألمانى Alsatian: الاسم ألزاسى، منسوب إلى منطقة الألزاس فى فرنسا، لكن الكلمة تعبر عن نوع من الكلاب يطلق عليه فى بريطانيا الراعى الألمانى (المترجم).

نوع من الكلب الإسبانى[١٣] مع دشهند[١٤]، منخفض جداً على الأرض، ذو أذنين متهدلتين، وعينين فاتنتين. وتعلقا ببعضهما بمجرد التقائهما، ويظلان، معًا باستمرار عندما نخرج إلى الريف، رغم أن فليب، كلب جامى، يكره الماء بقدر حب باتش له. وكانت مصدر متعة مراقبتهما، وهما يتدحرجان حول بعضهما، عندما نصل إلى حقل برسيم، أو عندما يشتركان فى سباق محموم فى دوائر، وينبحان عندما نذهب إلى رابيت هولو. لقد كانا رفيقين حقيقيين.

فى منتصف تاركروفت كان ذلك الفضاء المفتوح، أمام كو - أوب، ومتجر الآيس كريم فى الركن، حيث

---

(١٣) الكلب الإسبانى spaniel: أى سلالات الكلاب المتوسطة الحجم تقريبًا تمتاز بأذنيها المتدليتين وشعرها الأملس المتموج (المترجم).

(١٤) الدَشهَنْد dachshund: كلب ألمانى صغير طويل الجسم قصير القوائم (المترجم).

يبيع جو الآيس كريم فى الصيف، والسمك ورقائق البطاطس المقلية فى الشتاء. وعندما يقود شاحنته المغلقة فى الشوارع، يمكنك سماع جرسه اليدوى يرن، والكل يأتون مهرولين. وفى الجانب الآخر، من الميدان كان هناك حداد، وعندما يأتى الفلاحون مع جيادهم إليه؛ لتزويدها بحدوة، تعودنا أن نتجمع حوله؛ لمشاهدة الشرر المتطاير، وتبخر الماء عند غمس الحديد المتوهج فيها. الجميع كانوا يذهبون إلى هناك من وقت لآخر، وكان ذلك كرمًا من توم تيدلر جراوندس، ولم يبدأ أحد مشاجرة هناك أبدًا. تعودنا أن نترك كل منا فى شأنه الخاص. وكانت المشكلة أن الكلاب لم تكن تعرف ذلك.

وفى صباح أحد أيام السبت، كنا نتسكع؛ فى انتظار أن يفتح جو، عندما لاحظت باتش يتصرف بطريقة مضحكة، يدور سائرًا حول ساقى، يلف زمامه حول ذراعى، كما لو كان يحاول الاختفاء. نظرت حولى،

وأدركت تمامًا ما يحدث، كانت عصابة فريدى هناك حول الركن، نحو ستة منهم، واقفين بجانب الحداد. وكان كلب الراعى الألمانى الكبير، يتجول حرًا، ينبش الأرض وتصدر عنه أصوات مفزعة فيها خنة.

وحتى ذلك الوقت، كان ذيله مرفوعًا، وكان يشم الهواء، وجاء مهرولاً تجاهنا. وفليب، الذى لم يتجاوز جروًا، مع سذاجته، سحب نفسه، متحررًا من قبضة جامى، وانطلق ليشم الكلب الضخم. وكان ذلك أسوأ ما عمله، فلم تمض لحظة إلا وكان متدحرجًا على ظهره، عندما هاجمه كلب الراعى الألمانى.

"هيييه، أوقف كلبك الغبى" صرخ جامى. كان خائفًا مثل فليب. لكنهم فى الميدان لم يفعلوا شيئًا سوى الضحك، عندما كان كلبهم يواصل إزعاج كلب جامى.

وعند ذلك تمامًا شعرت بلوى هائل مفاجئ فى

رسغى- وكاد أن ينتزع يدى. ثم لىّ آخر. وانفكت عقدة الزمام، وفى اندفاعة سريعة، انطلق باتش تجاه كلب الراعى.

وكانت هناك فرقعات، وزمجرات، وتدحرجات، وسحابة تراب، ونواح من أحدهما. لم أستطع أن أرى أيهما كان ينوح؛ لأن أحدهما يكون فوق الآخر ثم أسفله.

عندئذ، فر الكلب الضخم ناجيًا بحياته، وذيله بين ساقيه. وعبر الميدان، جاءت صرخة تألم:

"هييه، لقد قضم قطعة من أنفه. كلبك هذا يجب إطلاق النار عليه".

"كلبك يجب أن يختار من هو فى حجمه" صرخ جامى، الذى كان ممسكًا بفليب بين ذراعيه ويحاول التربيت على باتش فى نفس الوقت. ولم أستطع المقاومة. انفجرت ضاحكًا. وانضم إلىّ بيلا وهارولد.

وصحت تجاه الميدان معلنًا. "كلبى مولع بالآيس كريم، وعندما ينتهى من الآيس كريم، سوف يأكل كلبك بعد ذلك".

وعندما غادرنا محل جو، ومعنا أقماع الآيس كريم، كان الميدان خاليًا.

المهر

فانس بالمير

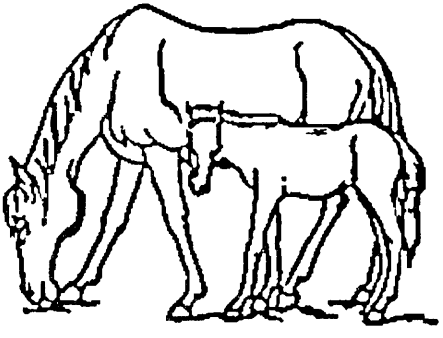

صوت الصهيل الخافت، الذى يخترق أحلام الفتاة الصغيرة، أيقظها وهى على الشرفة. وعندما فتحت عينيها، لم يكن النهار قد حل بعد، وبرزت إلى الطريق أشجار الصمغ، الطويلة المتجمعة على المنحدر، وهى تلوح مهددة مظلمة فوق المنزل، غير تاركة سوى شريط ضئيلاً من السماء. والندى ينتشر بكثافة على كل شىء لحاء سقيفة الحطب، وعربة اليد عند الجذعة، وأجمة السرخس على حافة الدغل. ومن فقاعات الماء المتقطرة المتدفقة، يصبح سياج الأسلاك المعلق الذى يحمى الشرفة معتماً.

متدفئة فى بطانيتها، نظرت الفتاة الصغيرة ناعسة إلى الشكل الغائم الذى يخيفها دائماً خلال وقت النوم، له لحية رجل مسن، وكتفيه المحدبين، ويمد يد ميت. والآن، مع الضوء المتزايد، لم يكن سوى شجرة، لا تختلف عن الأشجار الأخرى. وكانت الضوضاء قد بدأت تتسرب

خلال الضباب الغامض - الوتر النقار لطائر أبو الحناء[١٥] الأصفر، والأصوات الحادة ذات الصدى، وخشخشة عربة المزارع التى يجرها حيوان على الطريق العلوى، وشخير الفرس القزم، الذى يتم إحضاره إلى المنطقة المسيجة، بالقرب من البيت فى الليل.

وحينئذ، من جديد الصهيل الغريب! جلست فى الفراش، وارتجافة فى قلبها، تحدق بعيداً خلال السياج المعلق. وكان فى استطاعتها أن ترى بالقرب من كومة الخشب، الشكل الكثيف لدوزى، واقفة ساكنة تماماً تبدو هائلة على الأرض المرتفعة فى الضوء المعتم، وسترتها الشتوية يهب عليها البرد. كان رأسها هابطًا إلى أسفل، وشعر مقدمة رأسها الكثيف، متدليًا على عينيها، وبدت

(١٥) أبو الحناء robin: طائر مغرد يوجد فى شمال أمريكا صدره أحمر بنى وريشه العلوى أسود ورمادى (المترجم).

متجذرة فى الأرض اللدنة. ولكن وراء ارتجافها كان هناك شىء ما، مضطرب وغير مؤكد، شكل صغير يومض، مثل ظلها فى الماء، ومنه يصدر ضوء لامع.

والآن، وقد استيقظت تمامًا، نهضت الفتاة الصغيرة من الفراش، وضغطت أنفها على السياج. كانت قد فقدت زمام السيطرة على نفسها مع الإثارة. وغرقت فى حلم، دوزى واقفة برأسها متدليًا إلى أسفل، كما لو أنها غير واعية بالمرة بما يدور حولها. أرادت الفتاة الصغيرة أن تصرخ وتخبرها بما حدث.

وبدلاً من ذلك، اندفعت إلى الداخل خلال المطبخ المظلم وضربت بعنف وباستمرار فوق باب غرفة نوم أبيها.

"أبى! أبى! تعال انظر. أبى! دوزى أصبح لديها مهر".

وهناك جاء نشاط من الداخل، صوت ارتطام متناغم مع بقية الأصوات. وظهر أبوها، وعيناه مليئتان بالنوم، على الباب وهو ممسك بشمعة.

"ماذا؟ ماذا حدث؟"

"مهر" تمتمت. "دوزى أصبح لديها مهر. لقد رأيته".

"كل شىء على ما يرام" قال لها. "لا توقظى البيت الآن. عودى إلى فراشك؛ حتى تنادى عليك عمتك للإفطار".

بعد أن تم صدها، عادت إلى الفراش، لكن النوم كان بعيداً عنها تماماً. لم تكن تعرف كيف يمكنها أن تنتظر حتى يبدأ النهار. لم تعد دوزى ومهرها عند كومة الخشب، وجلست تنصت إلى أى صوت صادر عنهما. هل اجتازا الطريق بين الدغل والبوابة؟ أم أنهما كانا عند واجهة المنزل، حيث تقود القضبان الأفقية المنزلقة فى السياج إلى المنطقة المسيجة الواسعة؟

وعندما اقترب سطوع نور النهار، كانت خائفة بشكل مفزع؛ من أن يكون ما حدث مجرد حلم عن المهر. لم تره بالفعل، لكن ما رأته، كان مجرد شكل يلتمع

ويتأرجح بجانب دوزى. وعندما ستسطع الشمس، ربما لا يبقى من هذا الشكل شىء.

حينئذ، كانت الشمس قد بدأت تطلى، باللون الذهبى قمم الأشجار الطويلة. وكان كل شىء يبرق بالندى: الأبنية الضبابية، المقامة من الأغصان، وسقف البيت الخارجى، ووعاء كيروسين جديد من الصفيح، عند كومة الأخشاب. ومتخبطًا فى حذائه الطويل الثقيل، بدأ والد الفتاة الصغيرة فى إشعال نار فى منطقة المطبخ. ملأ الغلاية الكبيرة عند الصنبور، ثم ذهب إلى الغرفة الأخرى؛ لإحضار عمتها.

"تلك الفرس وضعت مهرها" سمعته يقول.

"أووه؟"

"لقد أثارت مشاعر الفتاة. هذا ما قالته لى ران، منذ نحو نصف ساعة".

"هذا ما تفعله. إنها تبحث دائمًا عن شيء جديد؛ لتمتلئ حماسة به، هذه الطفلة".

"حسنا، هل يمكنك لومها؟ ليس لديها شخص آخر، صغير السن تلعب معه.. سوف أعطى الفرس غذاء طيبًا من العجين المدفأ، وأعود بها إلى المنطقة المسيجة المفتوحة".

مزج العجين عند الفرن، ثم بعد أن أخذ الغمامات من وتد على الشرفة، خرج إلى جياد الحراثة. كان عليه أن يعمل فى البستان الكبير، على بعد ميل فى الثامنة. عندئذ، سُمعت أصوات طقطقة الآنية الفخارية، عندما بدأت أخته، وهى تمشى بتثاقل بشبشبها الرث، فى ترتيب المائدة للإفطار.

كان قد قطع مسافة على الطريق، وهو يسير بتثاقل خلف جياد الحراثة، قبل اغتسال الفتاة الصغيرة، وارتدائها لملابسها، لأنها كانت تنتظر فى النافذة الأمامية

على حشيتها؛ لإلقاء نظرة على المهر. نعم لقد كان هناك عند القضبان الأفقية المنزلقة فى السياج، يهتز حول أمه بسيقان نحيلة طويلة، بشكل يوحى بالضعف، وحوافره الصغيرة، تطعن الأرض اللينة. وبدا كما لو كان عليه أن يسير بهذه الطريقة؛ لكى يحفظ توازنه، وكان يترنح بألم، عندما يقف ساكنًا. تمتعت بالنظر إلى رأسه القصير، وأذنيه الطويلتين، وجلده البنى المحمر، الذى يتغير إلى الأبيض تحت البطن. ومثل طوق، كان عرفه الصغير المتموج يمتد بطول الرقبة، وكان ذيله مكنسة صغيرة معقوصة.

كان من الصعب عليها أن تأكل خلال الإفطار، وكانت كل أفكارها تدور حول المهر. لكنها لم ترغب فى الحديث عنه مع عمتها. كانت عمتها، تظن أنها منشغلة بشدة، بفرسها القزم ودُماها. ولم تكن عمتها منشغلة بشدة، بأى شىء، سوى بفرصة رحلة العودة إلى المدينة.

يمكنها أن تجلس خلال تناول الطعام، بدون أن تلفظ كلمة، سوى أن تقول لها، إن عصيدتها قد تبرد، إذا تلكأت فى تناولها، وعندما ينتهى عمل الصباح قد تجلس صامتة فى المقعد الهزاز، فى الشرفة مستغرقة فى قراءة كاتالوج من أحد محلات المدينة.

وخلال كل ذلك الصباح، تركت الفتاة الصغيرة دُماها دون أن تتحرك تجاهها، فى المكمن المسود من النار، فى الشجرة الضخمة التى تعتبر بيتهم السرى. ولم تستطع فعل أى شىء سوى متابعة دوزى ومهرها، واقفين فى الطين عند القضبان الأفقية المنزلقة فى السياج: لتحدق فيهما، صاعدة على القضبان عندما يقتربان من السياج، وتتابعهما على المرج المنقط بالفطر عندما يتحركان إلى الركن البعيد فى المنطقة المسيجة، وكانت آمنة بالنسبة إليهما حينئذ بعد أن غادرتها جياد الحرث. ومع ذلك كان هناك انحدار شديد يؤدى إلى

النهر الصغير، ما الذى يحدث لو أن دوزى حاولت الهبوط هناك لتشرب؟ لن يستطيع المهر أن يتبعها على أرجله النحيلة الطويلة.

"استمرى بجانب السياج، يا دوزى" أرادت أن تحذرها.

"لست فى حاجة، للهبوط إلى هناك. لديك الكثير من الماء فى الخزان.. الكثير".

لكن لم يصدر من دوزى، ما يشير إلى أنها ذاهبة أسفل المنحدر. كانت واقفة، تحمى صغيرها فى الشمس الدافئة، عندما كان المهر يترنح حولها، تصدر عن رأسه حركات غريبة، مرتبك بسيقانه الطويلة، التى بدت كما لو أنها قد تتقصف فى أى لحظة، مثل غصينات جافة. ومن بين وقت وآخر، كانت تدير رأسها لتراقبه بعينين نديتين، ومنخريها يرتعشان مع صهيل خافت. وكان ظهرها منخفضًا بشكل غائر. وبدت عجوزًا إلى حد بعيد.

فى ذلك الوقت، عندما خرج كلب من الدغل، وهرول عبر ركن من المنطقة المسيجة، دبت فيها الحياة فى لحظة. ارتج رأسها مرتفعًا بحركة مفاجئة، والتمع ضوء فى عينيها. وتحركت نحو الكلب بخطوات رشيقة، وجعلت أذنيها إلى الخلف واندفعت فجأة. وتسلل الكلب مبتعداً من خلال الأسلاك.

شىء ما فى تلك الحركات السريعة روع الفتاة الصغيرة. لم تكن قد رأت دوزى من قبل مستفزَة ومتوحشة. كانت متعودة أن تزحف تحت بطنها، وتلعب حول أعقابها، وتهتز على ظهرها إلى المخزن. وكانت على درجة من النبل تجعل الأمر يبدو قاسيًا إذا ركلتها بعقبيك لتجعلها تهرول. كانت ديزى كسولة، كما قال أبوها، إنها حتى لا تنهر النبر[١٦] الذى يطن حولها ليضع

---

(١٦) النَّبْر bot_flies : ذباب الخيل، أو نوع من الذباب مزدوج الأجنحة تتطفل يرقاناته على حيوانات مختلفة (المترجم).

بيضه على فرائها الطويل. لكن ها هى الآن تلك الخصلة التى استجدت عليها، لقد بدت غريبة.

لا تقتربى أكثر من ذلك، قالت عينيها.

صعدت الشمس أعلى قمم الأشجار ، وتلاشى الندى من فوق الحشائش، واختفت الأرانب فى جحورها، بعد أن كانت تقرفص على هيئة كرات فرائية، على طول خط نباتات السرخس. وفى ظل الشجرة الوحيدة، فى المنطقة المسيجة، بدأت دوزى تنام ورأسها على ظهر المهر.

"لينا!" نادى صوت حاد. "هل ستبقين هناك، فى الخارج تحدقين طوال اليوم؟ هناك الكثير من الأشياء البسيطة، التى يجب عملها فى المنزل هنا". وممانعة، وهى تسير إلى الخلف جزءًا من الطريق، تحركت بشكل جانبى، نحو المنزل حتى ابتلعتها ظلمة المطبخ.

وعندما جاءت عائدة من الدرس، فى نهاية المساء، كان هناك ما يدور فى المنطقة المسيجة. وكانت دوزى،

الرزينة، والمرتبكة قليلاً، تحاول توجيه المهر، نحو المنحدر الشديد كثير العشب. وبصبر وجهته عبر جانب المنحدر، دافعة إياه تدريجياً إلى أسفل، ومنتظرة إياه لكى يتبعها. لكن المهر، الذى كان يتحرك مهتزاً على سيقانه الطويلة، أصابه الفزع. وتوقف ورفض الانقياد، وهو يهز رأسه بعنف، إلى أعلى وإلى أسفل، بطريقة غريبة عابسة. وتهادى إلى الأمام، بضع خطوات ودعم نفسه ساقطًا على ركبتيه. ثم نزع نفسه إلى أعلى وهو يئن، وعاد إلى الخلف، صاعداً التل من جديد.

بدت دوزى فاقدة رشدها. وصدر عنها صوت حلقى عميق، وهى تتحرك متثاقلة، إلى أعلى التل خلفه، وعلى القمة، رمت رأسها إلى الخلف، وصهلت بأقصى ما فى قدرتها، ونظرة مرتبكة فى عينيها. وكان المهر يعدو غير واثق من نفسه، عبر المنطقة المسيجة. قذفت عقبيها إلى أعلى، واندفعت خلفه.

وفجأة، ظهرت جيادٌ، أخرى فى الجانب البعيد من السياج، كانت رؤوسها مرتفعة، وشعرها الطويل، تطيح به الرياح، وعيونها المتألقة، مشدودة إلى المهر. وانتشرت بينها عصفة إثارة، وصدرت عنها أصوات مرتفعة ونخرت، مدفوعة بالذكور المفتونة، وعادت للنظر من فوق السياج من جديد.

تعال: لترى هذا المخلوق العجيب، بدت كما لو كانت تقول لبعضها البعض. تعال انظر!

وعزفت الأسلاك المشدودة، تحت ضغط أجسام الجياد، والاندفاع المفاجئ، لحوافرها البالية، عندما تستدير لتعدو مبتعدة.

وأصبح المكان يعج فجأة بشعر الجياد المتموج، وعيونها المحدقة، والأعقاب المؤذية. وفى كل تلك الجلبة، بدا جسم المهر صغيراً وهشًا، معرض لأن يرتطم بالأرض. وكان يتهادى جزعًا، كما لو كان يُعصف به هنا

وهناك، مثل ريشة، بواسطة النخير العنيف، فى الجانب الآخر من السياج، وكلما جاءت إليه دوزى، ما أسرع ما تنسحب، مبتعدة عنه من جديد.

وتزايد الخطر الذى يواجهه، عندما تجمعت جياد الحرث هابطة على الطريق فى الغسق، تقرقع بسلاسلها. وزاحمت بعضها البعض، على صناديق غذائها عند السياج، دافعة آذانها إلى الخلف ومصدرة، حركات فظة بأعقابها، وأردافها الضخمة تلوح مهددة، مثل حيتان فى فى حوض نور الفنار، عندما حرك والد الفتاة الصغيرة القضبان إلى أسفل، وأعاد دوزى ومهرها إلى المنطقة المسيجة، بالقرب من البيت.

انتهى يوم آخر! وقف يراقب الجياد وهى تأكل، وجسمه منهك، يعانى من ثقل تقليب الأراضى. وعند الباب، أضاء مصباحه على الفرس ومهرها، كما لو كان يلقى عليها تفحصاً عن قرب للمرة الأولى.

"شكيمة[١٧] حصان أسترالى برى[١٨]" غمغم بابتسامة صارمة. "على كل حال، أمه ليست تحفة. أظن من غير المتوقع، أن يكون فار لاب[١٩] صغير، .... هل ستروض نفسك عليها، أيها البناتى؟".

قالت بصراحة، كما لو أنها قد رأت أن الأمر قد انتهى، "ليس بعد. لا يزال أمام ذلك وقت طويل".

"سوف ينمو قريبًا. سوف يتحول إلى حيوان ضخم، من المحتمل، برأس مطرقة، ومشية جمل. وسوف يتهادى فى مدينة المقاطعة خلال عامين".

لم تكن تتمنى ذلك، كانت تريد له أن يظل مهرًا. لقد أصبحوا الآن ثلاثة، كانت تفكر حالة.. دوزى، وهى

---

(١٧) شكيمة bit: الحديدة المستعرضة فى فم الحصان من اللجام (المترجم).

(١٨) حصان أسترالى برى brumby: يعود إلى جياد أليفة تم إحضارها إلى أستراليا لاستخدامها فى الاستيطان (المترجم).

(١٩) فار لاب phar lap: حصان أسترالى أعجوبة، ويعتبر إحدى الأيقونات الأسترالية القومية، وكان أسرع حصان فى سباق الخيل الذى شهدته كأس ملبورن (المترجم).

نفسها، وهذا الكائن ناعم العينين، أختها الصغيرة، التى كان فى ذلك الحين أقرب إليها من أى كائن بشرى حولها. وأحيانًا فى الصباح، عندما أتى الربيع، كانوا يتجولون معا، خارجين من البوابة، وعبر الطريق إلى مسافة قصيرة، ثم إلى منطقة لا توجد فيها منازل أو أسيجة، لا يوجد فيها سوى مسطحات مليئة بالأعشاب، تمتد ذهبية تحت الشمس. وبدون انقطاع، كانوا يخرجون، دوزى تحملها على ظهرها، عندما تكون متعبة، والمهر يعدو فى الطليعة. وفجأة، قد يكتشفون أنهم كانوا يتكلمون مع بعضهم.

حلمت بالمهر، وهى جالسة على كرسيها الواطئ، الذى لا ظهر له، بالقرب من النار بعد وجبة المساء، محدقة فى الفحم. كان فى مكان ما، هناك فى الخارج فى الظلام، وهى تتبع أمها خلال السرخسيات المبتلة، تتعثر فى جذوع الخشب المختبئة، تصغى بانتباه شديد

خائفة، ربما عندما ينقض عندليب منخفضًا، أو يعدو أبوسوم[٢٠] إلى شجرة. كانت قدما أبيها أمامه، وهو نعسان فى كرسيه اللبادى، وعمتها تواصل الخياطة، دون أن تتكلم، تسلك الخيط فى سم إبرتها تجاه وهج المصباح.

وكان الظلام يطبق عليها، بأصواته الغريبة، عندما تنام فى فراشها فى الشرفة، تاركة رأسها مطمورًا بالملابس. ومن مسافة بعيدة عن التل المغطى بالشجيرات، يأتى صوت ثعلب يشبه شيئًا يتمزق من حلق الأرض، وحينئذٍ تنعب بومة الليل فى مكان قريب، ويعود صدى صوتها عبر الأخدود. وتتحرك الأشجار الضخمة أقرب فأقرب، ضاغطة على السقف. وتزحف أعمق فأعمق فى مأوى البطانيات.

---

(٢٠) أبوسوم possum: حيوان أمريكى من ذوات الجراب يتظاهر بالموت عندما يحدق به الخطر (المترجم).

وبالتدريج، تتحول الأشجار إلى جياد تتحرك متثاقلة، الواحد تلو الآخر، خلال القضبان المنزلقة، وتندفع جامحة وهى تدخل إلى المنطقة المسيجة. وتحجب أردافها الضخمة السماء، عندما تتنط فرحة بحريتها، وتقطع مسافات طويلة من حلبة السباق، والأرض ترتجف تحت حوافرها. وأحيانًا تتصارع فى وسط المنطقة المسيجة، ترتطم ببعضها البعض، بصوت كالرعد. لم تعد حينئذٍ جيادًا، ولكن حيوانات أحادية القرن[٢١]، قرون من الصلب ناتئة من جباهها، وكانت عيونها فحمًا متقدًا.

وخائفة، تجولت بينها، تراوغ حوافر الكابوس، باحثة عن المهر. لم يكن هناك ما يدل على وجوده، بل ومن مكان ما قريب، انبعثت صيحة خافتة، مثل صيحة أرنب وقع فى فخ. ولم يكن صوتها الخاص، عندما حاولت

---

(٢١) أحادى القرن unicorn: حيوان خرافى له جسم فرس وذيل أسد وقرن وحيد فى وسط الجبهة (المترجم).

الصياح، سوى صوت رقيق. جاهدت ثم جاهدت، لكنها لم تستطع أن تجعل صوتها مسموعًا.

حينئذٍ، وجدته عند قاع المنحدر، الذى ينحدر بشدة إلى الجدول، وكانت سيقانه النحيلة، تفرقع، مثل أعواد الثقاب، وجسمه المنسحق، لا يتخطى حجم جسم طائر. ولم تكن دوزى فى أى مكان. لا بد أنها ابتعدت عنه وتركته، وقد تكون ذهبت لتلحق ببهائم ترعد، حول المنطقة المسيجة هناك فى الأعالى.

وبألم مبرح، ألقت الفتاة الصغيرة بنفسها، إلى أسفل بجانب المهر. وتحطم صوتها، الذى لُعن مدة طويلة من قبل، إلى نشيج عميق متشنج، هز كل جسمها، وفتح تفجر عاطفى مفاجئ الحجاب الضبابى الذى يغطى عينيها.

وجدت نفسها، جالسة فى الفراش، تحدق فى شبكة الأسلاك. وكان ذعر كابوسها، لايزال يرتجف داخلها،

ولكن فى الخارج، كان عالم النهار، قد أخذ ملامحه فى ذلك الحين - سقيفة الحطب الداكنة، وعدم وضوح القضبان المضفرّة مع الأغصان، وجذع شجرة مقطوع والفأس فيه. وهناك فى الشروق الندى، على بعد لا يتجاوز عشر ياردات، كان المهر يشد بقوة فى حلمات أمه، وسيقانه الطويلة ممطوطة، ومدعومة بقوة، ومجموعة الشعر الضئيلة، التى تمثل ذيلاً، تنتفض من جانب إلى جانب، ورأسه ينطح فى الخاصرتين الهادئتين، كما لو أن هناك إلحاحًا للقوة، والسيطرة تنشط داخله - كما لو أنه هو الكائن الوحيد، الممتلئ حياة على كل الأرض.

الحمار

آلان مارشال

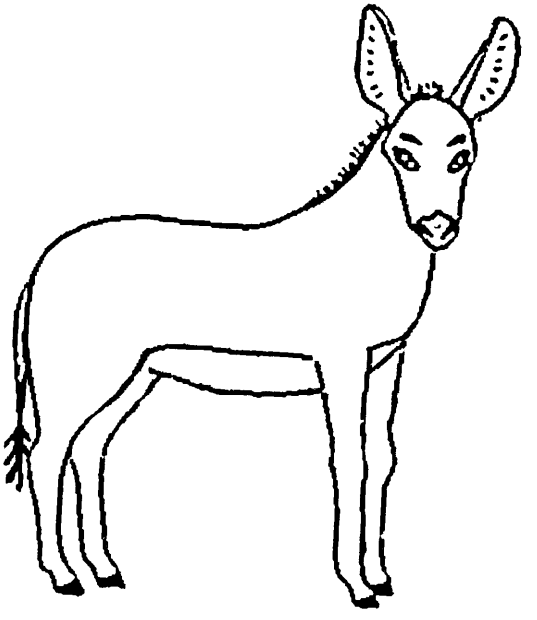

كان الحمار حمارًا عاديًا جدًا، رث وذاهل، يقف برأس متدلى، وعينين شبه مغلقتين، عند مدخل خيمة السيرك، التى نُصبت على الرقعة الوحيدة من الأرض الخضراء الباقية، قريبًا من المدينة الكبيرة.

كان ذلك أول سيرك تشهده المدينة منذ عام، وعبر الطرق المؤدية إلى قطعة الأرض المهجورة، تحركت صفوف طويلة من السيارات وتوقفت، ثم تحركت من جديد. كان الناس يمشون بسرعة، يعبرون ممرات المشاة، ويتخطون الحواجز الحجرية على حافة الطريق. وتحركوا فى مجموعات وصفوف، تقابلت وتقاطعت حتى أنه، بعد الوصول إلى قطعة الأرض تلك، تقدم حشد من الناس عبرها، ورؤوسهم مرفوعة؛ لرؤية ما هو بعيد عنهم من فوق الأكتاف.

وفى الطريق، أسفل تلك الطبقة من الوجوه المرفوعة العلوية، إلى أسفل، حيث كانت الأيدى الكبيرة تمسك

بإحكام بأيد صغيرة، كانت هناك وجوه أخرى، مستثارة، وملطخة بالآيس كريم، وكانت تحدق إلى الأمام، من خلال دغل من السيقان، إلى حيث كانت السيقان الأخرى، تتحرك مثل تلك التى تحيط بهم. وفى ذلك العالم من البنطلونات والجوارب الحريرية، كانت فتيات وصبيان صغار فى المقدمة، ولا يستطيعون رؤية الخيمة، والأفيال، التى تتحرك حرة، بالقرب من العربات الملونة، ولم يكن أمامهم سوى الانتظار، حتى هبطت إليهم الأذرع القوية، وتلقوا مساعدة، رفعتهم فوق رؤوس الناس. وهناك، فى مواجهتهم، كان الحمار الأعجوبة، يقف داخل مدخل خيمة السيرك تماماً.

كانت الخيمة من النوع الضخم. وكانت الملصقات المتألقة، التى استوقفت الناس عدة أسابيع، أمام حوائط القرميد المبقعة فى الشوارع الخلفية، قد أعلنت أن الخيمة هى الأضخم فى العالم، ومعدة لأربعة آلاف شخص.

وحيث إن الحمار، المقيد إلى وتد بحبل بال، كان يقف مباشرة، فى ممر الناس المسرعين نحو صفوف المقاعد البارزة للعيان، خلف الحلقة المضاءة، كان عليهم أن يمروا به جميعًا، بعد أن يكونوا قد اشتروا تذاكرهم. وكل يوم سبت، كان يقام ثلاثة عروض. وبذلك يمر اثنا عشر ألف شخص بالحمار، فى كلا هذين اليومين.

وعلى الأقل، يقوم ثلاثة أرباع هؤلاء الاثنى عشر ألف شخص بالتربيت عليه، أو لمسه خلال مرورهم. وهكذا، فإن تسعة آلاف يد، تقرع بشكل إيقاعى على مكان ما، من جسم الحمار طوال اليوم. وقد يكون من الصعب، حساب كمية الضربات الصغيرة جداً، التى تقع عليه خلال أسبوع.

ويأخذ التربيت أشكالاً متنوعة. بعض التربيتات إظهار للتفوق، والأخرى إيماءات، توجس من الضيق. هناك تربيتات، كانت مكرسة لحب النفس، والبعض

مكرس لحب الحمير. البعض كان عروضًا خجولة، من الآباء الراغبين فى التأثير فى أطفالهم، بينما كانت الأخرى، تربيتات رقيقة، تتحول بالخيال إلى تجارب فاتنة.

قد تتوقف، أم يسحبها معه صبى صغير، مستثارًا بينما يحرك يدًا خجولة بلطف على كتف الحمار. وكان الأطفال الأصغر، الذين يرفعم الآباء الفخورين، ينحنون، ويحكّون بأصابعهم القصيرة السمينة على طول ظهره، أو يخربشون قمة رأسه، أو يجذبون أذنيه. والأطفال الذين لا يصحبهم أحد، بدون آباء أو أمهات، يكبحونهم، كانوا يُظهرون شجاعة متهورة مصطنعة، بالاتكاء على الحمار أو فرك أنفه، بينما ينظرون حولهم ينتظرون استحسانًا.

وأحيانًا قد يحاول الناس الشفوقين إدخال الفول السودانى أو قطع الحلوى بقوة، بين شفتى الحمار. لكن ذلك كان أمرًا صعبًا، حيث إنه يجعل أسنانه مغلقة

بشدة، ويهز رأسه، عندما يشعر بأيديهم فى فمه.

وكل نحو عشر دقائق كان "رجل يعطف على الحمير" يقترب منه.

"أووه، أيها الحمار" قد يقول بألفة مؤثرة، مما يجعل الناس المربتين، يسحبون أيديهم وينظرون إليه. وقد يحيط "الرجل الذى يعطف على الحمير" حينئذٍ، بذراعه عنق الحيوان ويخاطبه، بكلمات تؤكد أنه خبير.

"هذا ما يحدث لك إذن، أيها الفتى المسن، إييه. ليس هناك المزيد من العمل الشاق لك. حسنًا، هذا هو ما آلت إليه الأمور". ثم، مع تغير فى النبرة، قد يوضح للناس المستمعين: "فى الشرق تحمل الحمير أكثر من وزنها، كما تعرفون، حيوانات تواظب على الحمل".

يهمهم الناس، بأنهم قد فهموا، ويهبون الحمار تربيتة نهائية، تعبر عن العطف قبل السير فى طريقهم.

وكان الحمار، يقبل ما يقدمه له هذا الحشد من

الجمهور، من ملاطفة، بإذعان يوحى بأنه أصبح مروضًا على التربيت عليه طول حياته. وإذا كانت هناك أوقات، يشعر خلالها بنوبات عصيان، فإنه لم يظهر ذلك أبدًا. كان يقف على ثلاثة سيقان، مع ورك هابط، وشعره الأشعث، يضطرب بالأيدى التى تفشل فى التشويش على الحلم الذى فقده.

وفى اليوم الأخير للسيرك، وصل رجل بدين، ببذلة زرقاء داكنة مشدودة بإحكام على جسمه، إلى المدخل بثقة. وتوقف مؤقتًا أمام الحمار، وأجرى على الحيوان فحصًا حاسمًا. زم شفتيه وهز رأسه، ثم تحرك إلى الخلف؛ حتى يمكنه رؤيته من الخلف. وتحرك إلى الجانب الآخر من الحمار وفحصه من هناك. وأكمل الطواف حول الحمار، بتأمل طويل لرأسه. حينئذٍ، لم يكن يرغب فى معرفة المزيد حول هذا الحمار. وفى نفس الحركة، التى صدرت عنه وهو يبتعد، جعل يده تسقط بشدة على ظهر

الحمار. وتلك كانت التربيتة الثامنة ألف فى ذلك اليوم.

كان يبدو على الحمار، أنه نائم، لكن ثقل يد الرجل فوقه، أثرت فيه كما لو أنها كانت إشارة، انتظرها طويلاً. رفع رأسه الضخم بحركة سريعة، واستدار، وأطبق فكيه، على ذراع الرجل بأسنان انطلقت، مثل فخ أرنب. وأطبقت على الخيوط الرفيعة لسترة الرجل، ومزقت من الملابس رقعة قماش آزرق، ظلت بارزة من فم الحمار عندما أدار الحيوان رأسه، بعيداً لمواصلة أحلامه.

صُعق الرجل. ترنح إلى الخلف بين الناس، بعينين مروعتين مندهشاً. وقبض بيده بإحكام على ذراعه، وتوقع من الناس إثباتاً لهذا الشيء المذهل الذى تعرض له.

"لقد عضنى" صرخ بنبرات مروعة، ثم أضاف، وهو ينظر غير مصدق إلى الحمار، "يا له من بهيم شرير".

وتوقف كل الجمهور المار؛ لينظروا إلى الرجل وإلى الحمار، وقطعة القماش فى فمه. وأومأوا جميعاً

برؤوسهم موافقين على كلمات الرجل. هذا الحمار بهيم شرير حقًا. لقد عض الرجل البدين فى الذراع، وكل ما فعله الرجل أنه ربت عليه. يا له من كائن عاق شرير، ولمدة خمس دقائق، تمامًا بعد ذلك، لم يربت أى أحد على الحمار. ربما كان ذلك هو أول طعم للسلام، يتلقاه منذ سنوات.

عُد طائرًا إلىَّ

أ. ر. فورد

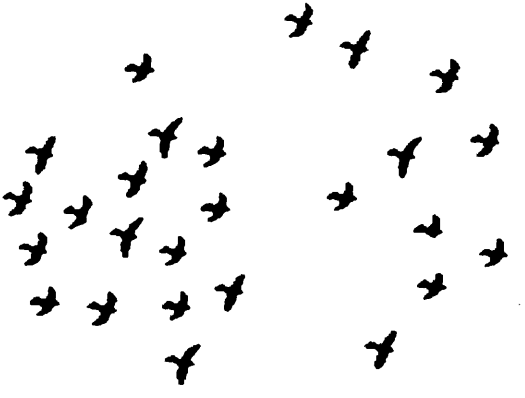

فتح جيرى باب علِّية الحمام. وظهر الحمام متجمعًا فى أسراب فى الصباح البارد. وكان شديد التوق لغذائه.

وطار مهتاجًا فى الهواء، ينتظر أن يلقى إليه بالغذاء على الأرض. دفع جيرى يده فى قوس غير متقن، وترك فتات الحبوب المهشمة تسقط من بين أصابعه. ومن كل الجهات أتى الحمام نحو الحبوب، لاطمًا إياه بتهور بأجنحته.

لكن جيرى لم يكن سعيدًا فى ذلك الصباح.

لقد مر يومان منذ اختفى أفضل ذكر حمام لديه.

كان قد سماه ووندر (الأعجوبة) على اسم طائرة، رآها فى مجلة بويز أون Boy's Own. نعم لقد اختفى ووندر.

ونظر جيرى إلى أعلى فى السماء، تدفعه عادته أكثر من أى شىء آخر. وكانت مجموعة من الطيور الشبيهة

بالبلشون،[٢٢] تحوم عالية فوق رأسه.

لكن لم يكن هناك أى أثر، لووندر.

ولم يكن يدرك أبدًا قبل ذلك، مدى ما يعنيه ذكر حمام بالنسبة إليه. لم يكن قد رباه. كان فى الواقع غريبًا، جاء من السماء منذ عدة أشهر. ومنذ ذلك الحين جاء ثم ذهب، يومًا بعد يوم، وأصبح من ثوابت المكان، كحدث طبيعى، مثل شروق وغروب الشمس. وأعجبه وقبله كما لو كان ضمن حمامهم - حمامه، وحمام أمه. ومن الغريب إلى حد، كبير أن أمه أحبته أيضًا - وكانت تكره عادة منظر أى حمامة، تنتهك حرمة فنائها!. ولكن بالنسبة لووندر، كان الأمر مختلفًا. لا تستطيع سوى أن تحب ذكر الحمام هذا.

كان ذكر حمام جميلاً. كانت أكثر درجات الألوان رقة من الأخضر، والأزرق، والأسمر، الذى يميل إلى الصفرة

---

(٢٢) طائر شبيه بالبلشون gaulding: طائر شبيه بالبلشون أو مالك الحزين herons، وكذلك شبيه بالبلشون الأبيض أو ابن الماء egrets (المترجم).

قليلاً، والدرجات الساطعة والباهتة، تمتزج على صدره، وعندما يهز رأسه، كانت الألوان على العنق والجناحين، تندمج فى تناسق متغيّر مبهج. كان أسلوب تناسق ذيله، باللون الأسود والأبيض، مثل مجلس تجنيد[٢٣] وكانت قدماه بلون قرنفلى رقيق.

نظر جيرى من جديد، إلى السماء أعلاه. وكان بعض قطع الحبوب لا تزال متناثرة على الأرض، تثير التلهف المتنافس بين الحمام. وكانت الطيور الشبيهة بالبلشون، قد اختفت عن النظر، ولم يكن هناك حتى ذلك الحين أى أثر لووندر.

مر يومان! وقد لا يراه أبدًا مرة أخرى.

---

(٢٣) مجلس تجنيد draught_board: قد يكون المقصود هنا أن أسلوب مجلس التجنيد، وهو مجلس من المدنيين يقوم بسحب القرعة لاختيار الأشخاص الذين سيؤدون الخدمة العسكرية، تكون نتيجته تجنيد أو عدم تجنيد بمعنى أسود وأبيض (المترجم).

كان يشعر بالحزن، ولم يجذب نظره، هديل الحمام بالقرب منه. وكان من الصعب أن يفكر فى الحمام ذلك اليوم، وعندما نادت أمه أجاب فاتر الهمة.

"نعم، ماما".

"هل جاء ووندر؟".

"لا، ماما".

"إلى أين من المحتمل أن يكون؟".

"لا أعرف، ماما".

ربما يكون قد مات، (هكذا فكر) أو تم قتله!.

ثم تكلمت أمه من جديد.

"أراهنك بأى شىء؟! على أن أحد هؤلاء الصبية، قد ضربه بنبلة. وهذا هو سبب منعى لك دائمًا، من استخدام واحدة. أنتم جميعًا تقتلون دجاج الناس وكائنات أخرى؛ لمجرد اللهو. سأحطم يدك، إذا رأيت معك إحداها".

لم يجب جيرى. لا يستطيع أن يفعل. وشعر بقلق. لأن لديه نبلة ومع ذلك لا تعرف أمه عن هذا شيء. ولقد صنعها بنفسه، بمدية الكشّاف لديه وكان فخوراً بذلك. كان طرفاها ناعمين وجيدى الاستدارة. والجزء المتفرع منها يستدق تدريجيًا بدقة فى ساقها. وجعلها تلمع ببعض من الورنيش المسروق، وكان المطاط النظيف الأحمر، الذى حصل عليه بمقايضته بوجه ساعة، مربوطًا بسلك رفيع، بفرعى الجزء المتفرع. لقد صنع النبلة فى فترات عزلة، ودائمًا كان ذلك بعيداً عن رؤية أمه له.

ومنذ يومين، كان قد نجح فى ضربته الأولى بالنبلة، كان قد سفك أول دم.

وتذكر هذا الأمر، كما لو كان يحدث حينئذ. الرأس ومقدمة صدر اليمامة، يلوحان أعلى المنزل. وأصبح التحدى موجوداً؟ وارتعاشة، تلهفه لتجربة حظه. والنبلة ملتصقة بجيبه يخرجها بصعوبة. و"الوضع المشدود"

للسلاح، عندما رفعه للإطلاق. وحبس الأنفاس فى نشوة التوجيه إلى الهدف. ولحظة التوقف المؤقت. وعندئذٍ، حرر الشد المحكم لطول المطاط، وانطلقت الحصاة من النبلة.

وسقط الطائر إلى الخلف، واختفى عن النظر.

وقف مذهولاً من البهجة، التى تحيط بكل هذا الأمر، عاجزًا عن تجميع أفكاره معًا. لقد كان بطلاً. ولكن كان عليه الحصول على الطائر، هذا ما قاله لنفسه. وأراد أن يجرى إلى أهل الساحة، ليسألهم، ما إذا كانوا يسمحون له بالصعود إلى السقف وأخذه. لكنه، لم يجرؤ على ذلك. قد تعرف أمه بالموضوع، وكان متأكدًا من أنه سيتلقى "لعنة" فى هذه الحالة. أخمد تلهفه، لرؤية الطائر الميت، وذهب إلى منزله، وفى نفسه ارتياح شديد، من عمل تمت تأديته جيدًا. الآن يمكنه الكلام على أساس. كانت تلك المرة الأولى، التى ينجح فيها من عدة محاولات، ربما يصبح صياد طيور أفضل من أى صبى آخر فى

المقاطعة. وفى النهاية، كان قد أثبت تفوقه. لقد بلغ المستوى المطلوب.

لكن كان عليه أن يحصل على الطائر كدليل. من المؤكد، أن هؤلاء الصبية سيلقون الأسئلة، ويرتابون فى أمر غامض، إذا لم يروا الطائر بأنفسهم. وقد يسمع ضحكة دان الساخرة:

"ما الذى تظنه فى نفسك أيها المغفل؟ ها! ها! ها! وأمك تراقب كل خطوة لك، أى طائر هذا، الذى يمكنك أن تصطاد؟".

وأيًا كان ما يقوله دان، من المؤكد أن يردده أصدقاؤه.

ويبقى أن يعرف، أنه اصطادها. وماذا بعد؟ ومع نضارة النصر فى قلبه، سار متمهلاً إلى المنزل. وجاء فى الوقت المناسب لسماع أمه تناديه، بصوت مرتفع؛ لتغذية الحمام. وقدم له الطعام، لكن لدهشته، كان ووندر لم يعد

بعد. وجد الأمر غريباً، لكنه لم يبدأ التفكير الجاد، حتى المساء فى سبب غياب ووندر. أين كان ذكر الحمام؟!

افترض أنه قتله!

جاء اليوم التالى، وأصبح غياب الطائر، أكثر إثارة للحيرة.

والآن كان قد مر يومان.

نعم كان من المحتمل تماماً. لم يكن متأكداً من أنها يمامة، تلك التى اصطادها. بل قد تكون حمامة. ولما لا يكون ووندر؟ وأن تكون تلك هى سخرية الأقدار! أن يكون أول استخدام لنبلته، أول إطلاق لها، أول طائر حرمه، من أقرب الكائنات إليه. يا له من شىء بغيض، أن يكون هذا ما حدث.

ترك بيت الحمام متأملاً. وفى ما يشبه السرحة، سمع الحمام ينطلق فجأة خارجاً من العلية، وعرف من

صوت الطنين، أن الحمام كان يدور فى الهواء فوقه. لم يكن الحمام يحبه، هكذا فكر. وبدون مبالاة، استدار وتابعه بعينين بطيئتين، وهو يدور فوقه.

عندئذٍ، رآه، لا شك فى ذلك!

منتقلة ببطء، من الهواء المرتفع، كانت هناك حمامة قادمة إلى أسفل فى اتجاه الأرض. وبشكل غريزى، عرف أنه هو. لقد كان ووندر.

وتعلقت عيناه، بالكائن الصغير الطائر.

وبدا أنه كان معرضًا للسقوط من الفضاء، وكأن أحد الجناحين يضرب الهواء بشكل غير حاذق، لكن كانت طريقته فى الرجوع رائعة مثل مركب صيد أسماك بالية، تترنح متجهة إلى الميناء.

وقف جيرى وراقب، مذهولاً ومتشجعًا فى نفس الوقت. وشعر بإلحاح، ابتهاج جديد يندفع داخله وصاح بكل قوته!

"ماما، ها هو!".

هبط الطائر ببطء بشكل مهيب، وطار الحمام الآخر حوله قلقًا. لقد كان من المبهج تمامًا مراقبة ما يحدث. طار الحمام حوله وأمامه، مثل حرس شرف نشيط، وحط الطائر أخيرًا آمنًا أمام قدمى جيرى. وقف ونظر إليه، وهو لم يتأكد بعد مما حدث، لم يكن واثقًا تمامًا مما عليه أن يفعل بتلك البهجة فى قلبه.

ثم فجأة، فى حركة اندفاع طفولية، لكنها بارعة، أخرج شيئًا من جيبه متعجلاً، وحطمه إلى جزأين. وسقط على بعد ياردة أو ياردتين من الطائر.

وعندما جاءت أمه تجرى، كان جيرى يحمل الطائر المرتعد بحنان، وتحت قدميه نبلة مصقولة، وجيدة التلميع، لكنها أصبحت حينئذٍ بلا فائدة.

نجاة لص الطرائد بالكاد

حان روسيل

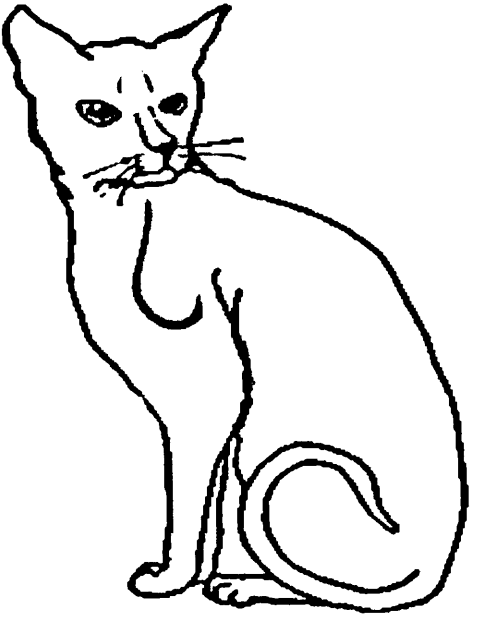

كان كوخ الآنسة بمبرتون، على مسافة نصف ميل من القرية. كان قائمًا على مبعدة من الطريق، فى حديقة معتنى بها، مساحتها أكر[٢٤]، نصفها مخصص للخضراوات. وأمامه كان هناك مرجتان محدودتان، منقطتان بفُرش من نبتات الأضاليا،[٢٥] التى آذاها الصقيع.

وخلف الكوخ، حتى الوصول إلى سياج الحديقة، كانت هناك الدغلات المحمية بالكامل، والتى كانت مشهورة بطيور التدرج[٢٦] الطنانة.

وفى ذلك الأصيل، من ديسمبر، كانت الآنسة بمبرتون، جالسة تقرأ أمام نار قاعة الإستقبال. وبين

---

(٢٤) أكر acre: فدان إنجليزى من الأرض مساحته نحو أربعة آلاف متر مربع (المترجم).

(٢٥) الأضاليا dahalia: أو الدهلية: نبتة طويلة ذات زهرات كبيرة جميلة (المترجم).

(٢٦) التدرج : pheasant: أو الديك البرى، وهو شبيه بالحجل (المترجم).

الحين والآخر، كانت ترفع عينيها عن الصفحة، وتحدق متفرسة فى القط الذى يرقد فوق السجادة.

لقد كان حيوانًا ضخمًا، قطًا عتابيًا[٢٧] كبيرًا، بضخامة كلب بكين[٢٨] كان يرقد هناك ممددًا بكامل طوله، يخرخر بلطف، متغذى جيدًا وكسول، تجسيدًا للراحة المنزلية.

وفى النهاية أغلقت كتابها ونهضت. "لن أغيب"قالت، "كن فتىً طيبًا، تايجر[٢٩].

ورقد القط ينعم هادئًا بالدفء اللطيف، لكن عندما سمع ضربة على بوابة الحديقة، نهض واقفًا على أقدامه. وتمدد بكسل، حتى برزت مخالب أقدامه، مثل المسامير الصغيرة القصيرة. ثم هز نفسه ومشى بخطى خافتة خارجًا إلى الردهة الصغيرة.

---

(٢٧) عتابى tabby: هر رمادى الوبر مخطط ومنقط بالسواد (المترجم).

(٢٨) كلب بكين pekinese: كلب صغير قصير القوائم عريض الوجه طويل الشعر ناعمه (المترجم).

(٢٩) تايجر، بالطبع هو اسم النمر tiger (المترجم).

كانت النافذة مفتوحة جزئيًا، ووثب بسهولة فوقها إلى عتبتها، ونظر إلى الخارج نحو الحديقة الخلفية. ثم قفز بسرعة إلى أسفل نحو الممر الرمادى، وهرول نحو الدغلات.

وصل إلى السياج، ومر من تحت وتد مكسور، من كثرة الاستخدام دون شك. وداخل الدغل، كان كل شىء هادئ، سوى ما يتعلق بحفيف الأوراق القرمزية، وهى تتراكم برقة نحو الأرض.

وهرول القط على طريق ضيق. وتحرك حينئذٍ خلسة، بحذر صياد بالفطرة. وداعًا للحيوان الكسول المخدّر، الذى كان يرقد أمام نار الآنسة بمبرتون، وبدلاً عنه أصبح هناك قاتل متقد الذكاء ضار، عيناه الصفراوان، تتوهجان بتلهف للدم.

وفى نهاية الممر، كانت هناك قطعة أرض، صغيرة مقطوعة الأشجار، حيث كانت الأعشاب تنمو بكثافة.

وهناك كان العديد من الأرانب، تثب بخفة، وسرعة وتجتهد فى تغذية نفسها.

وعندما اقترب القط من قطعة الأرض، هذه، تقدم بمزيد من البطء، وبطنه تلمس الأرض، وأذناه مسطحتان على جمجمته، وزحف إلى الأمام، بوصة فى كل مرة، مغتنماً كل جزء من غطاء؛ ليخفى تقدمه إلى الأمام.

وعلى حواف المنطقة المكشوفة، كانت هناك شجيرات بندق، وخلف إحداها، انتظر القط، فى سكون وصبر. ولم يكن يفضح انفعاله سوى بريق عينيه الصفراوان.

وفى النهاية تقدم ذكر أرنب صغير، واقترب من البندق. وراقبه القط متلهفًا بتحديق عينين لا تطرفان. وثب الأرنب، وأصبح أقرب، لكن القط انتظر بصبر غريب يتصف به نوعه.

وبقفزة أخرى، أصبح الأرنب بالقرب الكافى. وببطء،

ثنى القط رجليه الخلفيتين، وشد نفسه استعداداً للقفز. ثم وثب.

رآه الأرنب قادماً وهو مندفع فى الهواء، لكنه كان قد تأخر كثيراً. كانت المخالب القاسية، قد اخترقت ظهره وكتفيه، والأسنان الحادة، قد نفذت إلى العنق خلف الجمجمة.

ناضل الأرنب، وركل بأقدامه متشنجاً، لكن أمره انتهى بسرعة، لم يكن القط العتابى، يعمل شيئاً بغير إتقان.

وقف فوق ضحيته، يعجن فيها بمخلبيه الأماميين، ويزمجر بوحشية. وأكثر من أى وقت مضى، كان من الصعب المقارنة بين حيوان الغابات هذا، والحيوان اللطيف، الذى كانت الآنسة بمبرتون تفخر به جداً.

ترك جثة الأرنب، ومشى بخطى قصيرة، وكانت أول

إثارة حادة لرغبته، قد ضعفت بالقتل.

وخلف المنطقة المكشوفة، كان هناك طريق ضيق آخر. وكان يهرول بسهولة، فوق هذا الطريق، عندما، انحرف فجأة. فمن الشجيرات بجانبه، أتى صوت طقطقة حديد، وخفقات أقدام. حدق القط حول الشجيرة.

وهناك كانت القدمين الأماميتين لفأر صغير، قد أمسك بهما فخ حديدى. وكان الفأر يجاهد يائسًا، وقد كسرت ساقيه، وعلى وجهه، قناع من الدم الجاف. وعندما رأى القط، ضاعف من جهده، وأطلق صرخة طويلة، حادة مثيرة للشفقة. ولم يستمر الوضع طويلاً، فقد أراحته المخالب والأسنان، بسرعة من معاناته الطويلة.

وما أسرع ما ترك الفأر، لأن الفخ الحديدى جعله يرتاب. ورجع إلى الممر القصير، الذى يقود إلى حديقة الآنسة بمبرتون، ورقد ينظف نفسه.

وكان ينظف مخالبه، عندما سمع صفيراً حاداً حوله، وكانت قوة غير مرئية تقطع الأوراق، والأغصان الصغيرة الجرداء، وبعد ذلك، بجزء من الثانية، حدثت فرقعة بندقية تصم الأذن.

نظر القط إلى أعلى، ورأى الجار واقفًا فى الممر، ومعه بندقية يتصاعد منها الدخان.

تصرف فوراً. بقفزة جانبية، حط بين شجيرات قصيرة. ومثل الصاعقة، جرى إلى المنزل. واندفع خلال النباتات الكثيفة، غافلاً عن الضوضاء، حتى وصل إلى الحديقة. حينئذٍ، أبطأ خطواته. وهرول بوقار، عبر طريق الحديقة، ودخل من النافذة المفتوحة.

وكانت الآنسة بمبرتون، وهى عائدة من القرية، قد قابلت الحارس عند بوابتها الأمامية. "قطك يا آنسة" صاح، "كان فى غاباتى وأحدث اضطرابًا فى كل شىء".

"قطى" قالت وهى ترفع رأسها غاضبة. "غير معقول، إنه لم يقترب البتة من غاباتك. كيف يحدث ذلك، لقد تركته نائمًا أمام النار".

"لقد كان قطك يا آنسة" أصر الحارس.

"لا تكن سخيفًا. لم يخرج من المنزل طوال اليوم. تعال وانظر بنفسك".

وحقًا، كان قط الآنسة بمبرتون راقدًا، منغمسًا فى النوم أمام النار، ينعم بتوهج الدفء. وعندما كانت تتكلم، فتح أحد عينيه، وأصدر صوتًا ناعمًا قصيرًا تعبيرًا عن الرضا، ثم، مرة أخرى، تكوّر لينام أمام النار الضعيفة للأخشاب.

آرثر المسكين

جين كيمب

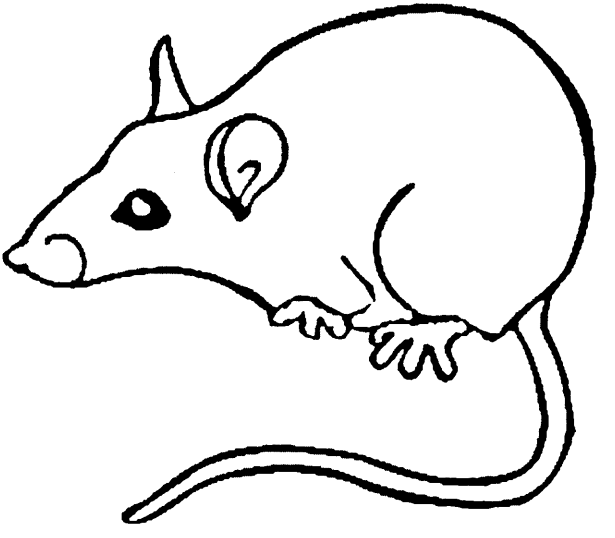

ذات يوم، بعد أن اصطاد دينيس، القط، الفأر الأبيض، عندما كانت بلوجس، أختى الحمقاء بالطبع، تنظف القفص، لم أكن لأترك هذا يحدث، إنها بطيئة جداً، ولم تر دينيس مقبلاً مثل اندفاعة الموت عبر الأرضية، ثم إلى المائدة، ثم إلى ذلك المكان حيث كان الفأر الأبيض، يجرى هنا وهناك. عندئذ، قالت ماما إنه لا يجب أن يكون هناك مزيد من الحيوانات، لأنها لا تستطيع تحمل تلك الرائحة، وأنها كانت هى الوحيدة، التى تهتم بإطعامها

حسناً، لقد أصابتنا الحسرة، حول أنه لن يكون لدينا أى حيوانات سوى القط دينيس، لعلك تتذكر ذلك، وكان مسناً، وأنا متأكد أنه لم يكن أبداً قطاً صغيراً، فهو أكبر سناً منى وينام دائماً، إلا عندما يكون فى حالة صيد للطيور، والفئران العاجزة عن الدفاع عن نفسها، وكان سريع الاندفاع تماماً وسفاك دماء، وعندئذ، عكفنا على

التسكع، حول محلات الحيوانات الأليفة لإلقاء نظرة على الكائنات. ولقد أُعجبت بثعبان أصفر منقط، وأُعجبت بلوجس بدانى[٣٠]، لكن لم يكن لدينا أمل، فى الحصول على أى منهما، بالطبع، مع موقف أمنا.

عندئذ، وفى الوقت الملائم بالضبط، قالت جارتنا فى البيت التالى لنا، إن لديها حيوانات عضل[٣١] وإنها لطيفة جدًا، وليس مطلوبًا منك تنظيفها غالبًا؛ لأنها لا تصدر عنها رائحة.

"كل الحيوانات لها رائحة" قالت الأم.

وأخذتنا جارتنا معًا، حول مكان حيوانات العضل. وظننت أنه فى الإمكان تمييزها، حيث كان هناك زوجان ومجموعتان من صغار العضل.

---

(٣٠) الدانى Great Dane: كلب كبير قوى ذو شعر ناعم وقصير ورأسه طولى (المترجم).

(٣١) العضل gerbil: حيوان من فصيلة الفأريات يعيش فى المناطق الجافة فى أفريقيا وآسيا الصغرى (المترجم).

"سوف أعطيك واحداً منها فى عيد ميلادك" قالت، عندما كنت أقف هناك تاركًا تلك الحيوانات تمر من فوقى، مع دفقات من البهجة، تملكتنى بإحساسى بفرائها، ومخالبها الصغيرة الناعمة. عندئذ، قالت ماما إنها موافقة، بشرط أن تحافظى عليها، وليس أنا.

وهكذا نظفنا القفص القديم، الذى كان مخصصاً للفأر، ثم اندفعنا خارجين، لشراء نشارة خشب وطعام عضل.

وهكذا، جاءت شوشى.

لم نكن قد سميناها شوشى فى البداية. واقترحنا اسم بولى، ونوسى، وكلو، لكن، لم يكن أى منها مناسباً. لم تكن شيئًا يلفت النظر بدرجة كبيرة. كائن صغير، لا يثير الاهتمام، فى الواقع، بفراء مكشكش، وأنف كبير، مُعقوف، كانت تدفعه فى كل شىء. لكن كان لديها عينان سوداوان لامعتان، وكانت تجرى نحونا أيًا كانت الجهة

التى نقترب إليها منها، والرأس يميل عادة إلى أحد الجانبين، وهى تصدر أصواتًا هائجة سريعة وقصيرة، مخفية البندق، آكلة البندق، ممزقة لفافات ورق الحمام، راكلة بقدميها الخلفيتين بغضب، عندما تكون مهتاجة. سماها بابا، الفأر الصغير. وكان يدردش معها دائمًا أو يجتذبها بالفستق، حتى تقفز إلى أعلى فعلاً. وحتى ماما تعلقت بها. وتركتنى آخذها معى، إلى فراش نومى، لأن القفص لم يكن فيه رائحة، وكنت أدعها تجرى ليلاً حول فراشى، وتلتمس الدفء فى جيب بيجامتى.

وأصبحت تلك الحيوانات متشابهة حينئذ، رغم أن شوشى كان لا يزال لديها أطول ذيل وأكبر أنف، وتعبيرات أكثر تشوشًا.

وكان دينيس الصياد يترقب، يلحس فراءه المنقط. دينيس الصبور الشرير.

"أتمنى أن يكون لها أبناء" تنهدت بلوجس.

"حسنًا، إنها أصبحت أكثر سمنة" قالت ماما.

وكان أبى يقود أوتوبيس، ويعمل خلال مناوبات مختلفة. وفى ذلك اليوم، كان قد ذهب إلى العمل مبكرًا جدًا، وعاد فى العاشرة صباحًا، ثم خرج من جديد فى الثالثة. وعدنا إلى المنزل مع ماما، وهى مدرسة، فى الرابعة. وكان هناك تنبيه مكتوب لنا على المائدة. وكان بابا غضبان فى ما يشبه ثوران بركان فيزوف. ويقول التنبيه:

"إذا عرفت من الذى ترك باب القفص مفتوحًا، هذا الصباح، فستتمنى ألا تكون قد وُلدت، لأن هذا القط القاتل، قتل شوشى. حاولت القبض عليه، لكنه كان سريعًا جدًا، وهذا من حسن حظه".

وضعها على البوفيه، وكانت متيبسة وباردة، لكن فراءها كان ناعمًا، كما لم يكن من قبل. وكانت أمى تبكى، والدموع تسيل هابطة على وجه بلوجس. لم

أنتحب. ولم أفعل سوى الوقوف هناك، أقلبها ثم أقلبها من جديد.

"يجب أن ندفنها" قالت ماما أخيرًا.

وجدت صندوق سيارة لعبة "دينكى" صغير ذو غطاء شفاف، ووضعتها بلوجس داخله، ملفوفة بالقطن والصوف. وجلبت ماما بعض الزهور الصغيرة، من الحديقة، ووضعتها معها، ورسمت بلوجس صليبًا فى بطاقة وكتبت، "هنا ترقد شوشى المحبوبة".

وحفرنا حفرة، ووضعناها فيها. وكانت الأرض صلبة. ولم يسقط المطر لزمن طويل.

جاء بابا إلى المنزل، ووجهه شاحب، وقد تلاشى غضبه.

"لقد أحببت الفأرة الصغيرة" قال.

وأثارت ماما المشاعر قائلة، "يجب أن نذهب لنرى ما

إذا كان آرثر سليمًا. لا بد أنه أصيب بالفزع، عندما خرج دينيس من مكان ما، وأمسك شوشى".

تقاطرنا جميعًا إلى حجرة نومى، وكان آرثر هناك، عصبيًا شديد النرفزة، ولم يكن ذلك مدهشًا. تحسست بلوجس، الغرفة المظلمة، التى أقامها بابا فوق القفص، كحضانة، وكانت لاتزال تبكى.

"الآن لن يكون هناك أبدًا أى صغار"، ثم أضافت: "يمكننى أن أشعر بشىء ما. هناك شىء ما هنا. الصغار!".

"دعينا نرى" صحنا جميعًا. لكننا لم نستطع أن نرى، لأنه كان قد تم جعلها مظلمة خصيصًا وهادئة، من أجل الصغار وكانت الطريقة الوحيدة، لرؤية ما فى داخلها، هى رفع الغطاء.

أحضرت المفك. وفك بابا المسامير اللولبية. وكانت

بلوجس تلوك أصابعها. وبدا أن الأمر قد استغرق ساعات، ولكن فى النهاية، كان هناك أربعة منهم راقدين، عراة، باللون القرنفلى، يتلوّون، ذوى جمال ملحوظ.

"ولكن كيف سيظلون أحياء" همست ماما، "بدون شوشى لتغذيهم؟ لا يمكننى تغذية كائنات بهذا الصغر، سيموتون جوعًا...".

فى نفس اللحظة، صار وجه بابا أشد شحوبًا. وعادت بلوجس إلى البكاء.

"لا، سوف أتركهم ينامون أولاً".

فى تلك اللحظة قفز آرثر من يدى، حيث كنت ألاطفه لأرفه عنه، وجرى عبر الغرفة. راقبناه. وربما لم تكن بلوجس على هذه الدرجة من الغباء، كما قلت من قبل، لأنها كانت أول من أدرك الموقف.

"انظروا! انظروا! ليس هذا آرثر! الذيل أطول مما

يجب، والأنف أكبر مما يجب، وهو... هى تتوجه إلى الصغار! دينيس قتل آرثر، وليس شوشى! إنها شوشى! إنها حية!".

وصلت شوشى إلى القفص وإلى الصغار. وسحبتهم إليها، وبكل ما لديها، من أوراق حمام زرقاء وقرنفلية، غطت نفسها وغطت الصغار، وجلست، تحملق خارج الكومة، وهى غاضبة بشدة بالفعل، كما لو أنها لا تهتم بنا كما هو متوقع.

لقد كنا جميعًا فى سعادة بالغة.

"كل شىء سيكون على ما يرام. الآن سيعيش الصغار"

"سوف أضع السقف من جديد؛ لكى يعيشون فى هدوء" قال بابا.

وعندما كان يربط المسامير اللولبية، بدأ فى الضحك،

نوع غريب من الضحك.

"ما الأمر يا بابا؟".

"مجرد ضحك، حسنًا، يا له من مسكين آرثر الكبير لم يحصل على الكثير من الحياة؛ لأن شوشى كانت تعامله بطريقة مستبدة طوال الوقت، وعندما مات، تم دفنه تحت اسم حيوان آخر، وكلنا سعداء نبتسم، لأنه مات ولم تمت شوشى. كم هو مسكين آرثر الكبير، هذا ما أقوله".

ورددنا جميعًا "آرثر المسكين"، لكننا كنا لا نزال غير شاعرين بالحزن. لقد نجت شوشى والصغار. وسيكون كلّ شيء على ما يرام. ما عدا ما يخص آرثر. آرثر المسكين.

ملك الحيوانات

فيليب جوسيه فارميه

كان عالم البيولوجيا، يُطلع الزائر المشهور، على ما فى حديقة الحيوانات والمختبر.

"ميزانيتنا" قال، "محدودة جداً، بحيث لا يمكنها بعث كل الأنواع المنقرضة. لذلك نحيى فقط الحيوانات الأعلى، الحيوانات الجميلة التى كانت قد أبيدت بشكل جائر. أنا أحاول، كما يجب، أن أعوض عن الوحشية والحماقة. قد تقول إن هذا الرجل يخالف أمر الرب فى كل مرة يفنى فيها فرعاً من مملكة الحيوانات".

توقف، ونظرا عبر الخنادق المائية، والحقول التى يتم تسريع نمو نباتاتها صناعيًا. وكان شبيه حمار الوحش،[٣٢] يدور حول محور ويعدو بسرعة، مبتهجًا وضوء الشمس يومض على خاصرتيه. وثعلب البحر،[٣٣]

---

(٣٢) شبيه حمار الوحش quagga: حيوان يشبه حمار الوحش كان يعيش فى جنوب أفريقيا وانقرض فى أواخر القرن التاسع عشر (المترجم).

(٣٣) ثعلب البحر sea otter: حيوان بحرى كبير فى المياه الساحلية فى شمالى المحيط الهادى ذو فرو بنى غامق وناعم (المترجم).

يُظهر سوالفه من الماء. وكانت الغوريلا، تلوح من وراء نبات الخيزران. واختال الحمام المهاجر المنقرض. وكان كركدن، يعدو مثل بارجة أنيقة. وبعينين وديعتين، نظرت زرافة إليهما، ثم استأنفت أكل أوراق الشجر.

"وهناك الدودو[٣٤] ليس جميلاً، لكنه مثير للضحك إلى حد كبير، وعاجز جداً. تعالى، سوف أُريك علمية الإحياء نفسها".

وفى المبنى الضخم، سارا بين صفوف من الصهاريج، المرتفعة العريضة. كانا يستطيعان الرؤية بوضوح، من خلال النوافذ والجيلى داخلها.

"تلك أجنة فيل أفريقى" قال عالم البيولوجيا. "نخطط لتربية قطيع كبير، ثم نطلقهم فى محمية حكومية جديدة".

---

(٣٤) الدودو dodo: طائر كبير غير رشيق وغير قادر على الطيران وجد سابقًا فى جزيرة فى المحيط الهندى وانقرض منذ أواخر القرن السابع عشر (المترجم).

"أنتم تتشعبون بالتأكيد" قال الزائر المشهور. "أنتم تحبون الحيوانات حقًا، أليس كذلك؟".

"أنا أحب كل الحياة".

"قل لى" قال الزائر، "من أين تأتى بالبيانات، من أجل الإحياء؟".

"غالبًا، من الهياكل العظمية، والجلود من المتاحف القديمة. كتب وأفلام الحفريات، التى نجحنا فى ترميمها وترجمتها. أوو، انظر ذلك البيض الضخم؟ إنها كتاكيت الموة،[٣٤] العملاق وهى تنمو داخلها. وتلك، جاهزة تقريبًا لإخراجها من الصهريج، إنها أشبال نمر. ستكون خطيرة، عندما تنمو، لكنها ستكون حبيسة المحمية".

وتوقف الزائر أمام الصهريج الأخير.

---

(٣٥) الموة moa: طائر نيوزيلندى منقرض شبيه بالنعامة (المترجم).

"واحد فقط؟" سأل. "ما هو؟".

"هذا الكائن الصغير المسكين"، قال عالم البيولوجيا، وهو حزين عندئذ، "سيكون هكذا بمفرده. لكننى سأعطيه كل الحب الذى أملكه".

"هل هو بهذه الخطورة؟" سأل الزائر. "أسوأ من الأفيال، والنمور، والدببة؟".

"كان علىّ الحصول، على إذن خاص لتربية هذا الكائن". قال عالم البيولوجيا، وكان صوته يتهدج.

تراجع الزائر بحدة عن الصهريج. وقال، "إذن فلابد أنه... لكنك، لا تجرؤ على ذلك".

أومأ عالم البيولوجيا برأسه.

"نعم. إنه إنسان".

الكاتب فى سطور:

دينيس بيبير

- أحد أهم كتّاب المقتطفات الأدبية المختارة البريطانيين.
- وُلد فى سليفورد، ثم انتقل إلى ليدز، والتحق بجامعة أكسفورد، ومارس التعليم فى لندن.
- عمل استشارى تعليم، وأدار مركز تطوير مناهج الدراسة لمدرسى اللغة الإنجليزية، ويدير حلقات نقاش تفاعلية للمدرسين، حول استخدام القصص فى الفصول الدراسية.
- يعيش فى فينشلى شمال لندن.
- ألف الكثير من الكتب من أهمها: (قصص أعياد رأس السنة الميلادية، قصص فكاهية، قصص الأشباح، قصص الخوارق، غرباء عن كوكب الأرض، الكوابيس، قصص اضطراب التسلسل الزمنى)

المترجم فى سطور

عزت عامر

- محرر علمى، ومترجم عن الإنجليزية والفرنسية، ينشر فى العديد من المجلات والصحف العربية.
- عمل محرراً لصفحة العلم والتكنولوجيا، فى صحيفة "العالم اليوم" المصرية، ومسؤولاً عن صفحة يومية، وصفحة طبية أسبوعية فى صحيفة "الاقتصادية" السعودية.
- طُبع له فى المجلس الأعلى للثقافة فى مصر، ترجمات كتب: "حكايات من السهول الأفريقية" لآن جاتى، و"بلايين وبلايين" لكارل ساجان، و"يا له من سباق محموم" لفرانسيس كريك، الذى أُعيد نشره، فى مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤، و"الانفجار العظيم" لجيمس ليدسى، و"سجون الضوء..الثقوب السوداء" لكيتى فرجاسون، و"غبار النجوم" لجون جريبين، و"الشفرة الوراثية، وكتاب التحولات" لجونسون يان.

- نُشر له ستة كتيبات للأطفال، تحت عنوان "العلم فى حياتنا" عن طريق المركز القومى لثقافة الطفل، فى مصر، وينشر قصصاً مصورة ومواد علمية للأطفال، فى مجلة "العربى الصغير" الكويتية، ومواد علمية فى مجلة "العربى" وملحقها العلمى.
- نُشر له ديوانان: "مدخل إلى الحدائق الطاغورية" و"قوة الحقائق البسيطة" ومجموعة قصصية هى "الجانب الآخر من النهر".

التصحيح اللغوى: إيمان سلامة
الإشراف الفنى: حسن كامـــل